الجامعة

﴿ الجزء الثالث ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠١ — جماد الثاني ١٣١٩ ﴾

الجامعة ونشأتها ونموها

﴿ في عامين ﴾

مصر بلاد خصها الله بمزايا لم يخص بها بلاداً سواها . فنباتها ينمو نمواً سريعاً تحت حرارة شمسها القوية . وحيوانها لا تراه صغيراً حتى تراه كبيراً لخصب الارض التي يولد عليها . وفتيانها وفتياتها يدركون سن البلوغ في عمر يكون فيه الفتيان والفتيات في البلاد الاخرى اولاداً يلعبون في الازقة . وشركاتها وتجارها ولاسيما الاجانب المديرون المدربون منهم كجورج افيروف ومن اشبهه بينما تراهم فيها فقراء لا يملكون شروى نقير واذا بهم قد اصبحوا اغنياء وقد طفحت صناديقهم بالملايين . فلا تستغرب بعد هذا الخصب والاقبال العظيمين في كل فروع الحياة في مصر ما تسمعه عن حوادث النمو السريع فيها

واذا كانت « الجامعة » قد بلغت في هذين العامين تحت هذه السماء المصرية الصافية التي تحسدها السماء في كل مكان ما لم تكن نتوقعه فليس الفضل في ذلك راجعاً اليها ولكن الى الوسط الكريم الذي عاشت فيه وانصار العلم والادب الذين شدوا ازرها . ونخص منهم بالذكر وكلاء المجلة واصدقاءها ومساعديها الذين لم نشأ ذكر اسمائهم للمرة الاولى في المجلة غير مقرون بالتنويه بفضلهم عليها والاعتراف بجميل خدمتهم لها وهذا الذي دعانا الى كتابة هذا الفصل في صدر المجلة

ومن ذلك يعلم قراء الجامعة ان الوكلاء الذين يخدمونهم ليسوا بوكلاء اعتياديين ولكنهم من اصدقاء المجلة وانصار العلم والادب رأوا في خدمة هذه المجلة خدمة خصوصية لها وخدمة عمومية للجمهور فهبوا من كل جانب الى تنشيطها ونشر مبادئها علماً باحتياج الحالة الحاضرة الى المبادىء التي تنشرها. فكان مثلنا واياهم مثل شركة ادبية عمومية غرضها نشر المعارف الضرورية بين الناس واعضاؤها منتشرون في اقطار الشرق والغرب ومركزها في الاسكندرية

ولا يخفى ان هذا الاهتمام العام الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يوجب عليها اموراً كثيرة لان المجلة لقرائها وواجباتها لهم تزيد بازدياد اقبالهم عليها . ولذلك ادخلنا في المجلة في هذا العام التحسين الذي عرفوه . ورأس هذا التحسين جعل مواد « الجامعة » لاهم الحركات العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية التي حدثت في العالم منذ انشائه . وكل حركة من تلك الحركات تكلفنا ما لا يتصوره القارىء من الدرس والبحث والمطالعة والتنقيب . فاننا صرفنا خمسة عشر يوماً في مطالعة ما كتبه العرب والافرنج عن تاريخ الاندلس حتى لخصنا منه المقالة التي نشرناها في الجزء الاول من السنة الثالثة ونظنه اول تاريخ للاندلس من اوله الى آخره . وفي هذا الجزء نشرنا ترجمة الفيلسوف رنان للسيد المسيح وقد صرفنا اسبوعين كاملين في مطالعتها واعدادها لانها مكتوبة في اكثر من ٥٠٠ صفحة بحجم كبير . وفيه ايضاً تاريخ بني امية وقد قرأنا ما يزيد على ٦٠٠ صفحة من كتب مختلفة عربية وافرنجية حتى جمعناه منها باختصار جامع اللذة والفائدة

هذا سبيلنا في تحرير الجامعة قياماً بما يوجبه اقبال القراء عليها والماماً بجميع الشؤون العليا والمبادىء الكبرى لتكون الجامعة خزانة حقيقية جامعة لكل ما تجب معرفته على طلاب الحقيقة والمعرفة . ولو شئنا لاتممنا تحرير الجامعة في اسبوع واحد بان نجمع فيها بعض الفصول التافهة والمتفرقات والفكاهات والترجمات التي لا تكلف كاتبها تعباً وعناء . ولكننا نرى ان الذين يكون لهم شرف مخاطبة الجمهور ونقل المعارف الحقيقية اليه عليهم واجبات اسمى من ذلك بكثير. ونعتقد ان حضرات القراء بازاء ما يعلمونه من صرف الجامعة اوقاتها في خدمتهم الليل والنهار اعداداً للمواضيع التي يقرأونها بما يعرفونه من اللذة والفائدة يفضلون ان تصلهم الجامعة متأخرة اسبوعاً وهي ممتلئة فوائد تصبو النفوس اليها على ان تأتيهم قبل اسبوع ولا شيء فيها مما يجب ان يكون فيها . فان مجلة كالجامعة يصرف في تحريرها ما يصرف من الوقت والقوى لا يكفي شهر لاعداد موادها فقط لولا الليل الذي يعطي

النهار وان كان يأخذ من الاعمار كما يعطي المصباح النور الى البيت وهو يأخذ من الزيت ..

اما المصادر التي نستقي منها مواد الجامعة فهي كثيرة اهمها مؤلفات علماء الافرنج والعرب والكتب الافرنجية التي تصدر حديثاً والمجلات فاننا نطالع منها مجلة المجلات ومجلة باريز ومجلة العلم التصويري ومجلة الصحة واحياناً المجلة الانسيكلوبيذية ومجلة المطالعات العامة. واما الجرائد فنقرأ منها الطان والدبا والفيغارو والماتين وكلها جرائد يومية لا يفوتنا عدد منها . وفوق ذلك مكتبتنا الخصوصية والانسيكلوبيذية (دائرة المعارف) التي لا تخفى فائدتها . وعلى ذكر الانسيكلوبيذية نذكر كلمة لصديق فاضل كان لنا استاذاً في زمن الصبا وما اعقل الاستاذ الذي يكون تلامذته اصدقاء له بعد المدرسة . فان هذا الصديق كتب الينا منذ ثماني سنوات يقول « لقد حسبني اهلي مصاباً بالجنون المطبق لانني ابتعت « انسيكلوبيذية » علمية بخمسين ليرة فرنسوية اما انا فافضل امتلاك هذه الكتب المفيدة على امتلاك احسن دار في بيروت » ولقد صدق صديقنا واستاذنا فان فوائد الانسيكلوبيذيات العلمية التي يمكن بها تعميم مبادىء العلم بين الناس ولا سيما في بلاد الشرق لا تخفى فوائدها على الذين يحتاجون اليها

واذا اضفنا الى كل هذه المصادر مطالعة عشر سنوات متتالية لاطايب الكتب التي نُشرت في العلم والادب والفلسفة . واعداد مواضيعها المهمة بالاشارة اليها بقلم من رصاص جرياً على عادتنا في المطالعة زيادة في الاستفادة . وملاحظة نظام الاجتماع وشؤون هذه الحياة التي هي تارة حلوة وتارة مرة سنوات طوالاً . اذا اضفنا هذا الى ذاك علم القراء المصدر الذي تستقي منه الجامعة الماء الصافي الزلال لقرائها

اما كون « الجامعة » قد اثار نجاحها حسد احدى رصيفاتها النصف شهرية لان ذلك النجاح قد كسف هلالها فهذا امر عرضي يزول متى علمت تلك الرصيفة ان كتمان الحسد يؤذي صاحبه فكيف باظهاره . والجامعة في كل حال تسامحها لان تنشيط سائر الجرائد والمجلات لها وثناؤهن على خطتها ومبادئها ثناء لا تستحق جزءاً منه لما يمحو سوء صنع واحدة حاسدة ويحملنا على اهمال ما ارادته بالجامعة من الوقيعة وسوء القصد اللذين يذهبان في نظر العقلاء ما اكتسبته في جهادها بضع سنوات من سمعة الفضل والعلم . وكان بودنا ان تُبقي على هذه السمعة لانها اكتسبتها بحق واستحقاق ولانه يجب على المصادر الادبية والعلمية التي يرجع اليها الجمهور ان تكون مثالاً للفضل والنزاهة عن كل شائبة

ولكننا ما كتبنا هذا الفصل للوم والعتاب ولكن لشكر مساعدي الجامعة ولذلك نقفل

هذا الباب . ونقول قبل ختام الكلام ان الجامعة تقبل مساعدة كل نصير للعلم والادب ومحب لنشر مبادئها اذا رام الانضمام الى مساعديها واصدقائها الافاضل . وفي كل شهر تقريباً تردنا ولا سيما من جهات اميركا كتابات من افاضل لا نعرفهم يقترحون بها مساعدة الجامعة بنشرها بين القراء لان في ذلك خدمة عمومية . ومما يدل على نزاهة اولئك الوطنيين الكرام ورغبتهم المجردة في اشراك بني وطنهم في الفوائد التي يستفيدونها من الجامعة انهم يشفعون كتاباتهم باسماء اصدقائهم و بدلات اشتراكهم مقدماً وكل ذلك عفواً من غير طلب من الادارة . وقد كتب الينا احدهم من كولومبيا يقول منذ مدة « انني ابذل في سبيل مبادىء الجامعة كل مرتخص وغال و بناء عليه نقد ارسلت اليكم ٢٥ اسماً من اسماء معارفي واصدقائي لترسلوا المجلة اليهم وطيه وضعت لكم حوالة بثلاثمائة فرنك قيمة بدل اشتراكهم التي اخذت على نفسي جمعها منهم » وغيره يكتب من البراز يل « ان من واجبات كل سوري وكل مصري وكل عربي ذي نسمة حياة ان يشترك في الجامعة و ينشر مبادئها ولذلك اشركت سبعة من اصدقائي وجمعت تحت مسئوليتي قيم الاشتراك منهم وقدمتها للادارة طي هذا الكتاب » وغيره يقول من المكسيك « ان روح الجامعة نسمة حياة تدخل الى النفوس فتنهض الساقط وتحيي المائت فاذا كانت تقبلني مساعداً ليكون لي فضل الاشتراك في خدمة قرائها اولتني جميلاً وانا كفيل لكل من يشترك فيها عن يدي » وغيره يكتب « لم تقهرني جريدة غير الجامعة . فانني استعير اكثر الجرائد والمجلات لاقرأها دون الاشتراك فيها و بذلك اقرأ كثيراً واستفيد دون ان ادفع شيئاً لاصحابها اما الجامعة فمذ قرأت جزءها الاول من السنة الثالثة علمت انني بالاستعارة اخسر لا اربح فعزمت على اقتنائها فان مجلداتها خير ارث اتركه لاولادي »

وكل هذه الشذرات نقلناها حرفياً من الرسائل التي تردنا على ان هنالك شذرات نخجل من نقلها لانها تقريظ اشد من التقريظ الذي تقدم . ولم نتساهل بنشر هذه الشذرات التي نشرناها مع ما نعرفه في انفسنا من العجز الا لاظهار فضل مساعدي المجلة وتبيان حالة افكار السور يين المهاجرين الى الاقطار الاميركية وميلهم الجديد لكل ما من شانه زيادة الارتقاء الادبي والاجتماعي . فالى هؤلاء الافاضل الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم لضيق المجال نسدي خالص الشكر ونهنئهم بما اكتسبوه في تلك البلاد من الميل للعلم والادب وحب الارتقاء والجد في سبيله دون يأس ولا كلل

ولو زمنا الكلام عن قراء مصر والشام والهند وايران و روسيا وغيرها من الاقطار

الاميركية وسواها كما تكلمنا عن قراء بعض الانطار الاميركية لضاق المجال · ولذلك قلنا في مقدمة الكلام ان الاهتمام العام الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يقضي عليها بواجبات جديدة لقرائها · وهذه الواجبات لا تقصر الجامعة فيها كما رأى ذلك قراؤها من التحسين الذي ادخلناه فيها فلم يبقِ زيادة لمستزيد وان كنا ننوي تحسيناً جديداً كبيراً ننفذه في اول فرصة فتبلغ الجامعة حينئذ اكبر مبلغ نريده لها · ولا ريب ان مساعديها واصدقاءها وقراءها يسرهم ان يعلموا انهم قد انشأوا في الشرق صوتاً صارخاً في ربوعه يدعو الى الحقيقة والعلم والفضيلة والاخاء والمحبة واقاموا فيه بناء ادبياً لا يتزعزع · وهذا من فضل مساعدتهم وما نحن الا رفقاء في العمل مثلهم · واذا كنا نحب الحياة على هذه الارض التي ليس فيها شيء الا نفس الانسان فانما ذلك لاتمام هذا العمل · ففي يد الله اذاً ان يمن بتمام العافية ليطيل هذا الجهاد المستحب وفي يده ان يقصره

﴿ الواحد الاحد ﴾ ان اول ما ينبغي ان يبتدىء به المرء هو ان يعلم ان لهذا العالم واجزائه صانعاً بان يتامل الموجودات كلها هل يجد لكل واحد منها سبباً وعلة ام لا · فانه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً عنه وجد · ثم ينظر الى تلك الاسباب القريبة من الموجودات هل لها اسباب ايضاً ام ليست لها اسباب · فانه يجد لها ايضاً اسباباً · ثم يتامل وينظر هل الاسباب ذاهبة الى ما لا نهاية له ام هي واقفة عند نهاية ام بعض الموجودات اسباب للبعض على سبيل الدور · فانه يجد القول بانها ذاهبة الى غير نهاية محالاً ومضطرباً لانه لا يحيط العلم بما لا نهاية له · ويجد القول بان بعضها سبب للبعض على التعاقب محالاً ايضاً لانه يلزم من ذلك ان يكون الشيء سبباً لنفسه كما انه لو كان الالف سبباً للباء والباء سبباً للجيم والجيم سبباً للدال لكان الالف سبباً لنفسه وهذا محال · فبقي ان تكون الاسباب متناهية · واقل ما يتناهى به الكثير هو الواحد فسبب الاسباب موجود وهو واحد · ولا يجوز ان يكون ذات السبب وذات المسبب واحداً فسبب اسباب العالم منفرد بذاته عما دونه

(لابي نصر الفارابي من رسالته في السياسة)

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

المسيو فليكس فور

﴿ من معمل الدباغة الى رئاسة الجمهورية ﴾

(احاديث جريدة الفيغارو الجديدة)

ترجمة دباغ صار رئيساً لامة عظيمة · اعماله وسبب ارتقائه · ايام فتوده · كيف انتخب للرئاسة · الماسونية وسلطتها على الجمهورية · زيارته لروسيا وكيف حمل القيصر على اعلان التحالف · رغبته في استخدام الصحافة · رايه في وزرائه وفي الملكيين · برادة صديق معه · هل تسقط الجمهورية · واسفا لمواهب وقوى ذاهبة سدى

اذا كان الغرض من نشر تراجم مشاهير الرجال ان يتعظ القارىء بها ويعتبر فالمرحوم فليكس فور رئيس الجمهورية الفرنسوية قبل المسيو لوبه اولى الناس بالترجمة · والذي يجعل لترجمته في هذا الاوان اهمية خصوصية ما تنشره جريدة الفيغارو من احاديثه مع بعض اخصائه وبيان الخبر ان جريدة الفيغارو طرأ بين مديريها ومساهميها منذ بضعة أشهر خلاف افضى الى استبداد مديرها المسيو بريفيه بادارتها دون سواه · فرغبةً منه في توجيه الانظار اليها والدلالة على مقدرته الادارية سعى فحصل على احاديث كان يسرّها المسيو فليكس فور مدة رئاسته الى بعض اخصائه وصار ينشرها في مقالات متتالية في جريدته · ومنهم من قال ان المسيو فليكس فور نفسه قد كتب هذه الاحاديث على هذا الوجه لتنشر بعد مماته · ومهما يكن من هذا الامر فانه لا شبهة في ان تلك الاحاديث في غاية الاهمية وليس الآن في العالم رجل سياسي او قارىء يتبع سير سياسة العالم الا ويقرأها بلهفة وشوق · وهذا ما حملنا على تلخيصها للقراء

ولكننا نأتي قبل ذلك على فذلكة من ترجمة المسيو فليكس فور زيادة في الفائدة

***

ولد فليكس فور في باريز من ابوين فقيرين في عام ١٨٤١ وكان فتى نبيهاً مطبوعاً على



﴿ المسيو فليكس فور ﴾

حب الفائدة والسعي اليها بتأنٍ ونشاط . اي انه كان من ذلك النسل الذي يسمونه « النسل المادي » لانصراف افكاره عن التصورات والاحلام الى الامور المادية الحاصلة . ولما دخل فليكس فور الى مدرسة بومبيوس التجارية في ايفري زادته دروس هذه المدرسة تمكناً في آرائه

وبعد خروجه من هذه المدرسة سافر الى انكلترا فاقام بضعة شهور مستخدماً في احد محلاتها التجارية ثم عاد الى فرنسا ودخل عاملاً في معمل للدباغة للمسيو دومه في امبواز . وقد وصفه المسيو دومه صاحب المعمل في صغره فقال « ان فليكس كان طويل القامة نحيفاً كعود الكبريت شديد صفرة الوجه بلا لحية ولا شارب وجسمه محدوب قليلاً . ولكن نفسه كانت مستقيمة كالسيف وصداقته قوية كعصا معقدة »

ولا يزال في معمل المسيو دومه كثيرون من العملة الشيوخ يذكرون الفتى فليكس العامل وهم يشيرون حتى اليوم الى مكان في شاطئ نهر بجانب المعمل كان فليكس يغسل

فيه جلود المعمل . ولما انتخب لرئاسة الجمهورية بعث اليه رفاقه العاملون في معمل دومه المذكور بالتلغراف التالي

« يا حضرة الرئيس

« نحن الموقعون على هذه الرسالة نتشرف بان نهنئكم بانتخابكم لرئاسة الجمهورية ونرجو ياحضرة الرئيس ان تثقوا باننا ندعو دواماً بحفظكم للمنصب السامي الذي وضعتكم فيه دار الندوة»

على ان الذي يقرأ هذه الرسالة تحدثه نفسه بان اولئك العاملين كانوا يخشون ان يعود فليكس الى الدباغة في معمله حتى قالوا له « نرجوك ان تثق باننا ندعو لك بحفظك لمنصبك »

وقد صرف الفتى فليكس سنتين في هذا المعمل ثم خرج منه وشارك بعض التجار وفتح محلاً خصوصياً له فنجح وارتقى واكتسب ثقة رفاقه التجار فعين في جملة قضاة المحكمة التجارية فانصرف الى خدمة الغرفة التجارية في الهافر . ولم تكن تكفيه الفوائد التجارية التي كان يكتسبها بالدرس والملاحظة فراح يسوح في الشرق ليفحص فيه مجرى التجارة وحاجاتها فوصل حتى الى بلاد ايران في زمن قلما كان الفرنسويون يخرجون فيه من وطنهم . وقد بلغته حرب السبعين وهو في مشاغله التجارية فتجند يومئذ وقاد الاورطة السادسة لحرس الهافر ثم سار ببعضها الى باريز لكبح جماح انصار الكومون فكافأته الحكومة بوسام جوقة الشرف

وفي سنة ١٨٨١ عُين عضواً في مجلس النواب. فكان عقله منصرفاً الى الامور التجارية والاقتصادية والبحرية . فجعل سكرتيراً لوزارة المستعمرات والبحرية ثم انتخب نائباً لرئيس مجلس النواب ثم جعل وزيراً للبحرية حتى ارتقى الى رئاسة الجمهورية

ولم يرتقِ الى هذه الرئاسة لانه اقدر رجال عصره او اعلمهم او اشدهم دهاء . كلا ولكن هذا الرجل كان حسن الحظ منذ شبابه . فانه لم يقدم على امر الا ونجح فيه . ولعل ذلك لانه كان معتدلاً كل الاعتدال لا يطمح في السياسة وفلسفة الاجتماع الى ما وراء الموجود الحاصل ويسالم كل الاحزاب حتى الاحزاب الملكية حتى انه لم يشترك في القرار الذي قرره البرلمان من نفي المطالبين بعرش فرنسا بل اقام على الحيادة بين الفريقين . وكان فوق ذلك بشوشاً لطيفاً يعتقد ان الاعداء لا يُغلبون الا بالاحسان اليهم ولذلك كان كثير المجاملة والمداراة لاعدائه فيقلعون عن عداوته . والحاصل ان كل رجل كان يقابل هذا الرجل كان يخيل له انه صديقه الخاص وسواء دُعي هذا الامر رياء او تلاعباً بالناس فانه قوة وهذه القوة نافعة جداً لمن تكون له نفس لا تستنكر استخدامها

اما اعمال فليكس فور مدة حياته فهي انشاؤه مجلساً عالياً لوزارة المستعمرات ووضعه

اساس المدرسة الاستعمارية وتنظيمه مراكز فرنسا العسكرية والتجارية في مستعمراتها في افريقيا وجهره بالسياسة الاستعمارية في زمن كان الجهر فيه بذلك يقتضي شجاعة ادبية وهو الزمن الذي كان فيه الاشتراكيون قائمين قاعدين بسبب فشل فرنسا في حملة التونكين . وقد وضع قانوناً مقتضاه جعل اصحاب المعامل مسئولين عن الطوارئ التي تطرا على العملة في معاملهم وجعل الحكومة تُنشئ وساماً خصوصياً يُدعى وسام العملة وذلك لمكافئة العملة متى احسنوا صنعاً . واقترح على مجلس النواب تقرير مادة مقتضاها ان كل من يبذل حياته لانقاذ احد من الناس تُعطى ورثته راتباً قدره ثلاثمائة فرنك في كل عام . وزد على ذلك انه كان واسطة التقرب العظيم الذي حدث بين فرنسا وروسيا يوم زيارته القيصر في بطرسبرج . وقد كتب فليكس فور كتاباً هذا عنوانه « ميزانية فرنسا وباقي الامم الكبرى »

﴿ احاديث الفيغارو ﴾

ايام فشوده — اما الاحاديث التي حدث بها فليكس فور صديقه الذي لا يزال مجهولاً ولا تزال جريدة الفيغارو تنشرها في مقالات متوالية فاننا نلخصها هنا تلخيصاً قال فليكس فور في مسالة فشوده

« لقد كانت الحرب يومئذ على قاب قوسين او ادنى . وقد بذلنا جهدنا لنكون في غاية الاستعداد لها . ولكن الصعوبة كانت في ماذا تكون وظيفة رئيس الجمهورية في اثناء الحرب فان الدستور الفرنسوي لا يشير الى شيء من ذلك بل يكتفي بقوله « ان باريز تكون مركز الحركات الحربية في اثناء الحرب » ولكن اذا حصر العدو باريز فماذا يصنع رئيس الجمهورية . وماذا تكون وظيفة البرلمان حينئذٍ . اما انا فقد كنت عازماً على ان اطلب من البرلمان ان يعين عشرين عضواً من مجلس النواب ومن مجلس الشيوخ ويجعلهم لجنة وقتية لمساعدة السلطة الاجرائية اي الحكومة واذا وقع بين هذه اللجنة والحكومة اختلاف كان الفصل في ذلك لرئاسة الجمهورية والحكومة على شرط ان تكونا مسئولتين عن ذلك لدى البرلمان. فقال له صديقه وهل كنتم لا تخشون جانب المانيا في حربكم مع انكلترا . فاجاب الرئيس انني كنت على ثقة من ان المانيا لا تحرك ساكناً لان من مصلحتها ترك فرنسا وانكلترا تضعفان معاً . ومع ذلك فاذا حركت ساكناً فان روسيا حاضرة لارجاعها .

ثم قال الرئيس انه من الواجب ان يكون رئيس الجمهورية محبوباً الى الشعب والعامة ليكون ذا سلطة حقيقية وتاثير فعلي في سياسة الامة في الازمات الشديدة . ولا اكتمك انني محبوب جداً الى الشعب خلافاً لمن تقدمني من الرؤساء. فان المسيو كارنو كان مصاباً

بمرض في معدته فلم يكن بشوشاً لطيفاً لان البشاشة والمرض امران لا يجتمعان . واما انا فمعدتي قوية جدًّا ولذلك تراني مسرورًا دائماً . وسروري هذا يسري الى الشعب وهذا سبب ارتياحه اليَّ

. . . .

طريقة انتخابه للرئاسة — وتكلم عن انتخابه لرئاسة الجمهورية فقال . انني لا اعرف لذلك من سبب غير حسن الحظ . فانني لما سقطت الوزارة السابقة زرتُ شارل ديبوي لاساله ان يرضى برئاسة الوزراء التي كان يقدمها اليه اصدقاؤه . والعادة ان الذي يقول هذا القول لرجل اهل للرئاسة يكون كانه يقول له « اذكرني متى توليت رئاسة الوزراء » فلما صار ديبوي رئيساً للوزارة استدعاني وقلدني وزارة . وهذا سبب صيرورتي وزيرًا

اما انتخابي لرئاسة الجمهورية فقد كان شبيهاً بهذا الامر تقريباً . فان الجرائد الاشتراكية كانت تطعن على المسيو كازيمير بريه رئيس الجمهورية بعد المسيو كارنو طعناً شديدًا . ففي ذات يوم كنت سائرًا لحضور مجلس الوزراء في قصر رئاسة الجمهورية فتناولت احدى تلك الجرائد فرايت فيها طعناً في الرئيس لا اقبح منه فاخذت الجريدة والقيتها في مجلس الوزراء وسالتهم اذا كان لا يجب محاكمة الطاعن . فتناول كازيمير بريه الجريدة وقراها ثم القاها دون ان ينطق بكلمة . فتناولها رئيس الوزارة ولم يظهر رغبة في محاكمة الكاتب مخافة ان تكون الجريدة نفسها راغبة في هذه المحاكمة زيادة في شهرتها . ولكنهم عادوا فقرروا محاكمة الكاتب فدافع عنه المسيو جوريس دفاعاً كان له دوي في اوربا كلها فبرات المحكمة ساحة الطاعن وحينئذ استعفى المسيو كازمير بريه من رئاسة الجمهورية . ولما شرعوا في انتخاب خلف له وقعت اكثرية اصوات دار الندوة عليَّ لانني كنت معتدلاً ولم اكن قد اسات الى احد . فكاني كنت السبب في استعفاء المسيو كازمير بريه وانتخاب نفسي . اليس هذا من الاتفاق وحسن الحظ

. . . .

الماسونية وسلطتها على الجمهورية — قال فليكس فور « ويزعم بعضهم ان مقاليد الجمهورية في ايدي الماسون فلا يحدث شيءٌ فيها الا وهم راضون عنه . ويزعم بعض آخر ان مقاليد الجمهورية في ايدي الجزويت فلا يحدث شيءٌ فيها الا برضاهم واغرائهم . وكلا القولين عبث وثرثرة فارغة فانني انا ماسونيٌّ ولكنني لا اذكر ان الالواح الماسونية سالتني

امرًا يومًا ما ولقد « صوتُّ » احيانًا ضد الامور التي كانوا يرغبون فيها فلم يكلمني في ذلك احد منهم . وانت تعلم ان المسيو « بريسون » هو رجل الماسون وصاحب النفوذ العالي عندهم ومع ذلك فان اصوات الجمهوريين لم تتفق على انتخابه رئيسًا للجمهورية . فلو كان للماسون الكلمة العليا في شؤون فرنسا وكان الجمهوريون خاضعين للالواج الماسونية لكان انتخب للرئاسة . ولا اذكر انني استفدتُ من عضويتي في الماسونية الا مرة واحدة في حياتي . فانني كنت يومًا مع احد الاصدقاء في محطة اثينا الحديدية والزحام شديد فلما ابصرتُ رئيس المحطة اشرتُ اليه اشارة ماسونية فخف الينا لانه كان من الاخوة واعدّ لنا مكانًا مناسبًا . هذا كل ما استفدته من الماسونية

. . . .

زيارته لروسيا وهو رئيس الجمهورية — « وكان همي في زيارتي لروسيا ان اؤثر تاثيرًا حسنًا في الدوائر الرسمية ولدى الشعب . فان رؤساء الجمهوريات ليسوا بابناء ملوك ليغتفر لهم ما يأتونه من الخطاء والخلل في اقوالهم واعمالهم مدة زياراتهم الرسمية . وكنت عالمًا ان اكثر السفراء لا يكرهون ان يسردوا لوزرائهم ما آتيه من الخطاء لدى مقابلتهم او ما اقع فيه من الارتباك والاضطراب ليضحكوا مني وقد كان رجال حكومة روسيا حتى سفير فرنسا في بطرسبرج نفسه غير مستريحين من هذا القبيل . اما انا فقد بذلتُ جهدي لاحسن مقابلة الجميع علمًا بان فشلي يضرُّ بفرنسا وسمعة الجمهورية نفسها اذ يقول الناس حينئذٍ ان هؤلاء الجمهوريين قوم جهلة لا يحسنون معاشرة الناس ومحادثتهم . و يسرني ان اقول لك انني قد قمت بهذا الواجب خير قيام . فانني كنت اعطي في المقابلات كل ذي حق حقه واحادث كل واحد بما يروقه و يطيب له . فسرَّ رجال الحكومة الروسية بذلك سرورًا لا مزيد عليه ورأيت سفيري مشرق الوجه من سروره . ولقد سمعني القيصر مرة اخاطب جنديًا روسيًا واساله عن حاله فقال لي لله كم تحسن التكلم بلغة الجنود . ومما ساعدني على النجاح في ذلك قامتي الطويلة وبشاشتي الدائمة . ولو كنت شيخًا ضئيلاً قصير القامة لوقعت في الفشل »

اما المسيو غاستون ليروفانه يقول ان المسيو فليكس فور قد اخطأ في اثناء سياحته في روسيا مرتين . الاولى انه حضر استعراض الجنود بجانب القيصر وهو لابس رداءه الخارجي (باردوسو) وهذا امر محرم في المقابلات الروسية الرسمية . والثانية انه زار مع القيصر والقيصرة الكنيسة التي دُفن بها بطرس الاكبر دون ان يجثو امام القبر جريًا على العادة

الروسية · وقد اخذ الروس ذلك عليه

. . . .

تلغرافا البوتر والتحالف الفرنسوي الرومي — وقد قال فليكس فور في هذا الموضوع قولاً كان مجهولاً قبله · وهو ان روسيا وفرنسا لم تكونا قد صرحتا رسمياً قبل زيارتي بوجود تحالف بينهما · فلما دعوتُ القيصر نيقولا الى مائدة الوداع في دارعة البوتو قبل السفر كتبت نصّ « النخب » الذي عزمتُ على « شربه » ودفعته الى القيصر جرياً على العادة في مثل هذا الامر · وقد دسستُ فيه هاتين الكلمتين« روسيا وفرنسا المتحابتين المتحالفتين» فلما قرأه القيصر اعاده اليَّ وقد كتب في نخبه هذه الكلمة التي كتبتها في نخبي · فكان أقدامي وحده باعثاً على اعلان تحالف الدولتين امام اوربا كلها · وقد كتبتُ ما كتبتُ وانا على ثقة من ان القيصر لا يعارضني لانني اعرف قلبه · ولو عارضني لعارضته حينئذٍ وقلتُ له ما الفائدة من كتمان تحالف معلوم امره لدى كل الناس · وهذا يدلُّ على ان رئيس الجمهورية قادر باقدامه على نفع بلاده · اذ انني لو تركت الى رجال حكومتي ان يكتبوا لي نص النخب لكتبوا عبارات مبهمة غامضة جرياً على العادة ولم يكن قد حدث في اوربا كلها شيء من ذلك التاثير العظيم الذي حدث فيها يوم اعلاننا التحالف بتلك الصورة الرسمية

. . . .

فليكس فور وتاثير الصحافة — وقال صديق فليكس فور : قال لي الرئيس اليوم حين التقائي به انني اتيتُ مؤامرة صغيرة · فسالته ما هي · فاجاب انني لقيت المسيو جان ديبوي مدير جريدة « البتي باريزيين » وسالته لماذا تجتنب جريدته الكلام عني اجتناباً يكاد يكون مقصوداً ولماذا لا تصنع صنع جريدة « البتي جورنال » التي تغتنم كل فرصة للكلام عن رئيس الجمهورية · فاجابني ان جريدته لا تجتنب ذلك وانها ستقوم بما يجب عليها لرئيس الجمهورية كما قامت به من قبل · اما انا ففهمتُ من ذلك ان جان ديبوي لا يريد مجاراتي وما العمل به فانه رجل قوي وهو ينال كل ما يريده من الوزراء فلا يحتاج اليَّ (١) واني اتمنى ان تكون الجرائد الكثيرة الانتشار نصيرة لرئيس الجمهورية حتى اذا طراءت بعض الطوارئ استطاع التاثير بها على الشعب وتحريكه الى حيث يريد ·

(١) ﴿الجامعة﴾ ان المسيو جان ديبوي المشار اليه هو اليوم وزير الزراعة في فرنسا

ولا اعني بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد الكبيرة او جرائد الاحزاب فانه سيان لديَّ مدح هذه الجرائد وذمها لان لكل واحدة منها رايًا معلومًا وغرضًا سياسيًا مشهورًا وكلما عملت عملاً عرفت قبل عمله الجرائد التي ستمدحه والجرائد الذي ستذمه . ولكنني اقصد بالجرائد الكثيرة الانتشار الجرائد التي قراؤها يعدون بالملايين وهي ملتزمة الحياد فلا تتداخل الا في الازمات الشديدة . ومتى تداخلت وحثت على امر تبعها قراؤها لانهم اولاً لا راي لهم غير ما تكتبه وثانيًا لانهم يعرفون حيادتها . واما الجرائد الاخرى فلا يتبعها قراؤها لان لكل واحد منهم رايًا خاصًا به وهم يعرفون سياستها .

نقول والمقصود بذلك ان قراء البتي جورنال والبتي بار يزيين من العامة وقراء الجرائد الاخرى من الخاصة

. . . .

هو ووزراؤه — وقال عن وزرائه . ان المسيو ماين هو افضلهم لانه معتدل في سياسته . وقد كان اعتداله سببًا في استتباب السلام في داخل فرنسا وثقة الدول بحكومتها في الخارج . واما المسيو ريبو فهو رجل كثير النباهة ولكنه كثير التقلب لرغبته في ارضاء جميع الاحزاب معًا . واما المسيو بورجوى فهو صديقي الحميم شخصيًا ولكني لا احب سياسته . واست اخطئ اذا قلت ان المسيو بورجوى انبه رجال السياسة ولكنه من سوء الحظ راديكالي متطرف . واني استغرب ميله الى الاشتراكية لان الاشتراكيين ليسوا من ابناء العصر وانصار التقدم وانما هم من ابناء الماضي وانصار التاخر . وقد كنت مستاء من وزارة بورجوى ولما كنت اجول في فرنسا في احدى سياحاتي واسمع باذني اهانة مجلس السنات لمعارضته في مشروع الضريبة على الايراد الذي هو اهم مشروعات الراديكاليين كنت استاء من ذلك اشد استياء مخافة ان يظن الناس فيَّ الرضى عن سياسة المسيو بورجوى واهانة مجلس السنات . ولما استقال المسيو بورجوى سررت بانني صرت قادرًا على مقابلته كصديق حميم لا كوزير

. . . .

فليكس فور والملكيون — وكان من سياستي التقرب من النبلاء والملكيين لاستمالتهم الى الجمهورية لانه يجب هدم السور الذي بيننا و بينهم ولذلك كنت اجامل والاطف كثيرين منهم وقد اهديت كتابًا مخصوصًا الى الدوقة دوزيس النحاتة الشهيرة التي تسخط الجمهوريون عليها لانها وهبت الحزب الملكي شيئًا كثيرًا من مالها ليستخدمه في اسقاط الجمهورية . واني

اعجب من ان ابناء النبلاء والملكيين يصرفون حياتهم في البطالة ولا يدخلون في وظائف الحكومة ويتجازون الى الجمهورية خدمة « افرنسا » ولاسيا في وظائف الشؤون الخارجية . ولماذا لا يكون بين سفرائنا مثلاً احد من ابنائهم غير المركيز دي روفرسو والكونت دي مونبلو (سفيري فرنسا في النمسا وروسيا)

. . . .

برادة صديق معه — وقال سمير المسيو فليكس فور : ان المسيو فور عهد اليَّ اليوم امرًا ثقيلاً . فانه كلفني ان اذهب الى فلان وارجو منه ان يترك البرادة مع الرئيس ولاسيما في المقابلات الرسمية . قال المسيو فور فان هذا الرجل من اصدقائي ولكنه يسيء اليَّ بصداقته فانه في اثناء المقابلات الرسمية امام الناس كلهم يخاطبني بلهجة الصديق « الرافع الكلفة بينه وبين صديقه » فانه لا يكلمني الا بضمير المفرد المخاطب انتَ وانتَ اظهارًا لما بيني وبينه من الصلات . فانا لا انكر صداقته ولطفه ولكني لست في المقابلات الرسمية « صديقه فليكس فور » بل اني حينئذ « رئيس الجمهورية » . وقل له افترض ان جنديين كانا متصادقين ثم ارتقيا والتقيا في آخر عمرهما الواحد كولونل والثاني جنرال فان الاول يكون مرؤوسًا للثاني في اثناء الوظيفة وصديقه خارج الوظيفة

. . . .

هل تسقط الجمهورية — اما الجمهورية الفرنسوية فان المسيو فور لا يرى انها تسقط مهما هاجمها اعداؤها . : وذلك لان الجمهورية ليست ملكية يكفي لاسقاطها ان يُخلع الملك او يقتل بل انها ذات مائة راس وراس فمتى سقط راس منها قام راس . واذا فرضنا ان الانتخابات العامة افضت في ذات يوم الى انتخاب جميع اعضاء مجلس النواب من الملكيين فماذا يصنع مجلس النواب بالجمهورية . لا ريب انه لا يقدر على ان يوصل الاذى اليها لان مجلس السنات جمهوري والحكومة القابضة على ازمة الاحكام جمهورية ورئيس الجمهورية في الشانزه ليزه جمهوري وفضلاً عن ذلك فان الشعب جمهوري ولا يدع احدًا يمس الجمهورية بسوء . نعم انه اذا حدثت ازمة شديدة ووقعت فيها الجمهورية في فشل عظيم او طرأ عليها مصاب اليم يزعزع ثقة الفرنسويين بها قد يستسلم الشعب الى كل من يمدُّ يده اليه حينئذ لانقاذه ولكني لا اظن احدًا من اعداء الحكومة الحاضرة يتمنى ان ينزل بفرنسا مثل ذلك المصاب لبلوغ امانيه وآماله

***

والحاصل ان قصة هذا « الدباغ » الذي صار رئيس دولة من اعظم دول الارض

والذي صار يجالس القياصرة وسلاطين الامم والذي قام لذكره احتراماً اعضاء مجلس الرشستاغ الالماني لما بلغهم خبر وفاته بداء السكتة — قصة تشرف الوطن الذي عاش فيه وتوقع الحسره في نفوس كثير من الامم الشرقية . وهي تشرف الوطن الذي عاش فيه لانها تدلُّ على ما في ذلك الوطن من حرية ومساواة و وسائل للنهوض من معمل الدباغة الى زعامة الامة . وتلقي الحسرة في نفوس الشرقيين لما يرونه من الابواب المقفلة دون مواهبهم واستعدادهم والاسوار القائمة بينهم و بين ما تناجيهم به نفوسهم

ارايتم فرنكلين اذا وقف على قمة الجبل الابيض في ليلة ليلاء تكاثفت غيومها ولمعت بروقها كيف ياسف على تلك القوى الكهربائية العظيمة الذاهبة في اعالي الجو سدى

ارايتم زولا اذا وقف في نافذة قصره في باريز في اشد ايام القيظ وشاهد اشعة الشمس المحرقة تتفرق في الفضاء كيف ياسف لان الانسان لم يتعلم بعدُ طرق استخدامها

ارايتم نيوتن اذا وقف على شاطىء بحر المانش في يوم من اشد ايام الشتاء وشاهد هياج الامواج الهائلة وحركتها المستمرة الدائمة كيف ياسف على ذهاب هذه الحركة القوية سدى لان الانسان لم يقوَ بعدُ على استعمالها

ارايتم اذا عصفت العواصف وهبت الاعاصير تخرب المدن وتحمل الناس والسقوف والحيوانات الى اعالي الجو كيف ياسف الانسان على قوى هذه العناصر التي لا يستطيع اخضاعها واستخدامها

هكذا ياسف الشرقيون على قوى ومواهب رجالهم الذاهبة سدى

يُصابُ الفتى من عثرةٍ بلسانه   وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تُذهب راسه   وعثرتـه بالرجل تبرا على مهل

انستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي   فطاب الانس لي وصفا السرور
وادبني الزمان فلا ابالي   باني لا ازار ولا ازور
ولست بسائل ما عشت يوماً   اسار الجند ام ركب الامير

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهمّ مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

تاريخ المسيح بقلم رنان

﴿ تابع للمقالة السابقة في الجزء الثاني ﴾

بحث فيه وصف الامكنة التي ربي فيها السيد والوسط الذي عاش فيه والمبادئ التي كانت تختلج يومئذ في نفوس اليهود والحركة الاجتماعية العظيمة التي حدثت يومئذ وغيرها من الفوائد التاريخية والاجتماعية

الفصل الاول · وطن يسوع

وُلد السيد في الناصرة · وكانت قبله بلداً خاملاً لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر لا في التوراة ولا في التلمود ولا في مؤلفات يوسيفوس · ولذلك كان معاصروه يسمونه « الناصري » وقد كانت ولادته في عهد اغسطس قيصر وربما كان ذلك في سنة ٧٥٠ من بناء رومه اي انه ولد قبل السنة الاولى من التاريخ المسيحي الذي اصطلحت عليه اليوم الامم المسيحية ببضع سنوات

ومن الراجح ان الناصرة لم تكن في زمن ولادته تفرق كثيراً عنها اليوم · فان الهواء والجو لم يتغيرا في جميع بلاد سوريا عما كانا عليه يومئذ ولذلك لم يتغير شيء على الارجح من طرق بناء منازلها واتجاه دورها وشق شوارعها · ففي تلك الشوارع المفروشة بالحجارة وتلك الساحات الصغيرة التي هي ملتقى شوارع كثيرة تفصل الاكواخ والمنازل بعضها عن بعض كان يلعب الصبي يسوع · ولا ريب ان منزل يوسف كان شبيهاً بتلك الغرف الصغيرة التي لا يدخلها النور الا من بابها والتي تُتخذ لكل شيء حتى الطبخ والنوم · ولا فراش فيها غير « حصيرة » على اطرافها بعض مساند (مخدات) موضوعة على الارض ووعاء او وعائين من الفخار وخزانة مدهونة

وكانت الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال · اما سكانها فانهم يبلغون اليوم (في زمن رنان) اربعة الآف نسمة فكأنها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة الآف نسمة وهو قول لا يخلو من مبالغة (١) والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جدًا · وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية · وربما لم تكن منازل الناصرة تفرق عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرمة والتين المغروسة بجانبها كان لها منها منظر رائق · اما المكان الذي بُنيت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتامل في السعادة والراحة · ولا تزال هذه المدينة الى اليوم مقامًا جميلاً · اما سكانها فهم قوم الفوا اللطف والبشاشة · وحدائقها باردة خضراء · وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بارض الجنة من فرط خصبها · ولا يزال في غربي المدينة اودية خصيبة ينطبق عليها وصفه · اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكان حولها السرور شاملاً فقد هُدمت ولا يجري الآن من نبعها سوى ماء كدر · واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء — ذلك الجمال الذي كان مشهورًا عنه في القرن السادس عشر بانه هبة للناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يترقرق على وجوههن · فهناك الشكل السوري الجميل في اتم خلقته · ولا شبهة في ان العذراء كانت تقف في صباها بين اولئك النساء حول العين ومعها اناء الماء لتستقي منها · وقد قال انتونين مارتير ان نساء اليهود يُكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرهًا شديدًا في غيره وذلك لان هواء وطن السيد لطف اخلاقهن · واذا نظرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة

---

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ان رنان يصف الناصرة هنا كما شاهدها منذ ثلاثين عامًا اما اليوم فقد قام فيها وفي جميع نواحي فلسطين مبانٍ جديدة وزاد عدد السكان ونشأت محلات زراعية اسرائيلية والمانية جعلت كثيرًا من اراضيها القفراء حدائق غناء · ونوجه انظار حضرات القراء في الناصرة الى ما يرد عن وطنهم في هذه المقالة ونتمنى بعد ما ذكره رنان عنها ان يتحفنا احدهم بوصف الاماكن التي يمرُّ ذكرها فانه يحسن وصف تلك الاماكن الكريمة من قلم « ناصري »

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدتَ الى الآكام المشرفة على المدينة انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب · فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتدًا الى البحر وداخلاً فيه ويليه غيره من الجبال بينها وادي الاردن وسهول بيريا المرتفعة · اما في جهة الشمال فانك ترى جبال صفد متجهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتُظهر لك خليج حيفا

فهذا كان افق يسوع · هذا كان في صباه المنظر الدائم امام عينيه · هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية · فاذا بقي العالم مسيحياً في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المشكوك فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يجلس عليها ويشاهد العالم منها · هناك يجب ان تُقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحجَّ اليها المسيحيون من جميع اقطار العالم · هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من ابناء الناصرة المنسيين يحق للفيلسوف ان يقف ويتامل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه وليتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصرفه شيء عنه مهما قام في سبيله من المصائب والعثرات

الفصل الثاني · تربية يسوع

تلك هي المناظر الطبيعية الجميلة التي ربي يسوع بينها · ولقد نشأ يسوع في قريته وتعلم الكتابة والقراءة (انجيل يوحنا الاصحاح ٨ العدد ٦) وكان معلم المدرسة في القرى اليهودية يُدعى « الحزان » او القارئ في المعبد · ولا يحتمل ان يكون السيد قد تعلم اللغة اليونانية في صباه وانما كانت لغته اللغة السريانية ممزوجة بالعبرانية وهي اللغة التى كان يتكلمها اهل فلسطين في ذلك الزمان · اما اللغة اليونانية فقد كانت محرمة على اليهود وقد حرم بعض رؤسائهم من يتعلمها فقال « ان من يعلم ابنه علوم اللغة اليونانية ومن يربي الخنازير سواء في النجاسة » وسُئل احد رؤسائهم في اي وقت يجوز تعليم العلوم اليونانية للاولاد فاجاب « يجوز ذلك في كل وقت غير الليل والنهار لانه مكتوب انه يجب درس الشريعة في الليل والنهار » فكأنه اجابه لايجوز درسها · ومع ذلك فقد كان بعض اليهود يدرسون العلوم اليونانية ويحاولون ادخالها الى الاداب اليهودية · واشهرهم نقولا داماس او الدمشقي الذي كان اشهر علماء عصره ويوسيفوس الذي قال عن نفسه انه مستثنى بذلك

عن باقي اليهود · ولقد نشأت في مصر طائفة من علماء اليهود كانت تقتبس العلوم اليونانية وتنشرها ونشأ فيها الفيلسوف العظيم فيلون الاسكندري ولكن يهود فلسطين كانوا يعدون هذه الطائفة مفصولة عنهم ولقد كان انفصالها تاماً حتى انه لم يرد لها ذكر في التلمود · وقد كان لزعيمها فيلون الذي اشرنا اليه تعاليم شبيهة بتعاليم السيد من حيث الدعوة الى اله المحبة ومحبة الله والاحسان والراحة في حضن الله مما يدل على استعداد الافكار في ذلك الزمان لهذه المبادىء السامية

واذا كان السيد لم يقف في صباه على الفلسفة اليونانية وعلومها فلا ريب انه وقف على فلسفة هلل الفيلسوف اليهودي الذي عاش قبل ظهوره بخمسين عاماً معيشة الفقر والضعة ودماثة الاخلاق وكان يعارض الكتبة والفريسيين

الفصل الثالث · الوسط الذي ربي فيه

اما الوسط المضطرب الذي ربي فيه السيد فلا مثيل له في الاضطراب في تاريخ العالم غير الوسط الذي نشأت فيه الثورة الفرنسوية · فان الشعب اليهودي صار منذ سبي بابل مهضوماً مضطهداً فانتبهت قوى نفسه كلها واتجهت الى غرض واحد وهو الانتقام من اعدائه وبسط جناح سلطته على جميع اقطار العالم طبقاً لما كان يجيء في نبوءات انبيائه · ولو كان الشعب الاسرائيلي يعرف التعاليم اليونانية التي كان من مقتضاها اعتبار الانسان عنصرين مستقلين احدهما الروح والآخر الجسد وانه اذا تعذبت الروح في هذه الحياة فانها تستريح في الحياة الثانية لسرى عنه شيء كثير مما كان يجده من عذاب النفس واضطراب الفكر بسبب ذله وخضوعه مع ما كان يراه في نفسه من الامتياز الادبي والديني عن الشعوب التي كانت تذله · ولكن الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في هذا العالم نفسه · فانه يؤخذ من اقوال انبيائهم وشيوخهم ان الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس الى الابد وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ويكونون معروفين عند الله · اما الاشرار فلا · هذا كل جزاء اولئك وعقاب هؤلاء · ويزيد الفريسيون على ذلك ان الصالحين ينشرون في هذه الارض يوم القيامة ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس ويصبحون ملوك العالم وقضاته وهكذا يتنعمون بانتصارهم وانخذال الاشرار اعدائهم

فلما انتصر قورش الفارسي وفتح بابل خيل لليهود انه قد انفتح في وجههم باب جديد وعاد اليهم ملكهم فتآخى كهنة الفرس وكهنة اليهود · ولكن السلطة اليونانية والرومانية لم

تلبث ان دخلت الى آسيا بقوة وشدة فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فعادوا الى احلامهم الماضية من دعوة مسيا لانقاذهم واعادة ملكهم وتحقيق نبوءات انبيائهم ٠ وقد اشتد ذلك عليم بعد خروج البلاد من يد اسرة الملك هيرودس الى يد الرومانيين ٠ فان هذا الملك العظيم الذي يشبهه بعضهم بسليمان كان قد ولى ابناءه الثلاثة جميع بلاد فلسطين تحت سيادة الرومانيين فكان شانهم معهم شان امراء الهند المستقلين اليوم ٠ فكان ابنه (انتيباس) واليًا لبلاد الجليل و بيريا وكانت الناصرة تابعة لولايته ٠ وابنه فيليبوس واليًا لغولونيتيا و باتانيا ٠ وابنه ارخيلاوس واليًا لاورشليم ٠ وقد توفي هيرودس الكبير في نفس السنة التي ولد المسيح فيها ٠ و بعد انقضاء عشر سنوات على وفاته عزل اوغوسطس قيصر ارخيلاوس ابن هيرودس والي اورشليم لانه كان ضعيف الرأي السيء الادارة ثم ضم كل ولاية يهوذا الى السامرة وادوم وجعلها تابعة لسوريا حيث كان يقيم بو بليوس سولبيسيوس كيرينيوس احد اعضاء مجلس الشيوخ الروماني نائبًا امبراطوريًا من قبل القيصر وحاكمًا على تلك القطعة كلها ٠ ومن هذا الحين قُضي على استقلال مملكة اورشليم ٠ فزاد ذلك في يأس اليهود واثار ثائرهم لانهم كانو يعتقدون الرجس والنجاسة في التمدن الروماني الذي تسلط عليهم ٠ وقد ولي اورشليم اولاً كوبونيوس ثم جاء بعده ماركوس امبيفوس فأنيوس فروفوس ففالاريوس كراتوس ٠ ووليها بعدهم في عام ٢٦ للميلاد بنطس بيلاطس صاحب الشان في الحوادث المسيحية الاولى ٠ وكان هؤلاء الولاة تابعين لوالي سوريا ولا شغل لهم غير اخماد نار الفتنة التي كان يضرمها اليهود تحت اقدامهم

ذلك ان غلاة الدين من انصار شريعة موسى قاموا في ذلك الزمان يعارضون السلطة الرومانية فكانوا يكسرون النسور التي هي اعلام رومه ويحطمون التماثيل التي اقامتها اسرة هيرودس لانها في نظرهم آثار وثنية لا سيما وان الذين نصبوها لم يراعوا في صنعها الشريعة الموسوية ٠ وكان الموت عقاب كل من يُقدم على اثارة الفتنة ومقاومة السلطة ولكن اولئك المتحمسين في دينهم كانوا يستعذبون الموت في الدفاع عن شريعتهم ٠ فنشأ عن ذلك ظمأ الى الموت والاضطهاد سببه الرغبة في الدفاع عن الشريعة ٠ فالف اثنان من علماء الشريعة يُدعيان يهوذا بن ساريفيا ومتياس بن مرغلوثه حزبًا لمقاومة « اصحاب البدع » الرومانية والحملة على تلك الهيئة فامسكها الرومانيون وعذبوهما وقتلوهما ولكن حزبهما بقي بعدهما ٠ وكانت النفوس كانت قد بلغت بهذه الاضطهادات اقصى درجات الهياج والاضطراب فظهرت يومئذ شيعة (الكاناميين) او « القتلة الدينيين » الذين كانوا

قد آلوا على انفسهم ان يقتلوا كل رجل يحط من شان الشريعة الموسوية امامهم . وظهر ايضاً اناس يدعون صنع العجائب وشفاء الامراض فكان الشعب يُقبل عليهم لان الافكار كانت مستعدة بالتحمس الديني لتصديق كل ما يجيء من فوق الطبيعة

ومن الحركات التي كان لها تاثير عظيم على سير الحوادث في ذلك الزمان حركة يهوذا الغولونيتي او الجليلي . فان كيرينيوس امر في السنة السادسة من الميلاد باحصاء عدد نفوس اليهود . وكان اليهود لا يجهلون ان الاحصاء مقدمة لوضع الضرائب على السكان ولقد اشتد هياجهم على الملك والنبي داوود يوم امر باحصاء سكان مملكته وتهدده الشيوخ بغضب الله . وذلك لانهم يعتبرون دفع الضرائب ضرباً من ضروب الكفر بالله لان الله هو سيد الامم وحده واليه وحده تُدفع الضرائب لا الى ملوك الوثنيين . ولذلك كانوا يعتبرون اموال الخزانة العمومية اموالاً مسروقة كما جاء في تلمود بابل

فلما درى اليهود بامر كيرينيوس بالاحصاء بلغ الهياج اشده فقام منهم رجلان احدهما يدعى يهوذا وهو من قرية جماله القائمة في شرقي بحيرة طبرية وثانيهما فريسي يدعى صادوق ينكران دفع الضرائب ويحرضان الناس على الامتناع من دفعها . وكان من مبادئهما ان حرية الانسان افضل من حياته فاذا كان احد الحكام يزعم انه «سيدي» وولي امري ويوجب عليَّ دفع ضريبة له فالاولى بي ان اموت من ان اعترف بسيادة عليَّ غير سيادة الله . وقد فشا امر هذا الحزب في اليهودية ولكن يوسيفوس لم يذكر عنه شيئاً كثيراً مخافة أن يلقي التهمة على ابناء وطنه انما وضع يهوذا الغولونيتي عند كلامه عنه في جملة فلاسفة اليهود واعتبره مؤسساً لمبداء رابع غير مبادىء الصدوقيين والفريسيين والايسنيين مع ان فكرته بسيطة لا تستوجب كل هذا الاهتمام . وذلك مما يدل على انه كان ليهوذا هذا مطامع ومطامع سياسية غير التى تقدمت . ولا يبعد ان يكون قد جعل نفسه رئيس حزب غرضه الاشتغال بما يختص بمجيء المسيح المنتظر . وقد لقي يهوذا الغولونيتي الموت جزاء هذه الثورة ولكن حزبه بقي حياً بعده . ويحتمل ان يكون السيد قد رآه وشهد نهضته ولكن المحقق انه قد وقف على مبادئه . ولذلك يقول بعضهم انه لما جاء قوم الى السيد ليجربوه وسألوه عن الجزية فاجابهم « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » كان يريد بذلك ان مملكتي غير مملكة يهوذا الغولونيتي واصلاحي غير اصلاحه

وهكذا كانت بلاد الجليل في ذلك الزمان عبارة عن تنور حام تضطرب فيه العناصر المختلفة . وكانت السلطة الرومانية لا تطأ على مثيري الخواطر الا متى استفحل امرهم لان

الرومانيين كانوا يمنحون محكوميهم من الحرية اكثر مما يمنح الاوروبيون محكوميهم في هذا الزمان · وحسبنا دليلاً على ذلك ان البوليس الروماني لم يعترض السيد المسيح في اثناء تعاليمه الا حين رُفعت عليه الشكوى من اليهود· فكانت هذه الحرية باعثاً على زيادة الافكار اليهودية انتشاراً · اما فيما يختص بالافكار المسيحية فيمكن قسمة اليهودية الى قسمين · قسم الشمال الذي فيه الجليل ومن ضمنه الناصرة والقسم الثاني اورشليم · على ان كل الاعمال الحسنة والمبادىء السامية صدرت من القسم الاول وهو الشمال · اما اورشليم فكانت متمسكة بالتقاليد القديمة كل التمسك · من الشمال خرجت الكنعانية المتواضعة ومريم المجدلية ويوسف الحنون والعذراء مريم · ولولا الشمال لم تتسلط اورشليم على العالم

وكانت الطبيعة في تلك الجهات الشمالية في غاية الجمال ومنتهى الرونق فكانها خُلقت لتملي على الناس وتعكس اليهم نور المبادىء الادبية السامية· فانه بينما ترى نواحي اورشليم صلعاء جرداء تقريباً ترى الجليل ونواحيها في غاية الخصب والاقبال · فارضها تكتسي في شهري مارس وافريل (اذار ونيسان) بساطاً جميلاً منتظماً من الازهار الملونة بالوان لا مثيل لها · وحيواناتها صغيرة ولكنها في غاية اللطف والدعة · وربما وقعت بعض طيورها على ساق عشبة صغيرة فلم تُملها من خفتها · بل ربما دنت منك حتى صارت بين قدميك تقريباً وذلك لالفتها وعدم نفورها · وقد ترى في السواقي سلاحف ذوات اعين قوية النظر لطيفة وبطاً ترى عليه لوائح الحياء والرصانة معاً يترك كل خوف ويدنو منك كثيراً · ولست تجد في جميع بلاد العالم بلداً جباله اجمل من جبال تلك الجهات · ولا ريب ان يسوع كان يحب الجبال من حبه لجبال وطنه · فانه كان كثير الصعود الى الجبال وقد القى عليها اسمى خطبه وعمل فيها اعظم اعماله وكان اذا صعد اليها تغيرت هيئته وازدادت نفسه الكريمة بلاغة وحكمة

ففي وسط هذه الطبيعة الضاحكة بدأ يسوع يعلم فكان تعليمه عبارة عن نزهة دائمة وسرور دائم · ويقال انه كان يسير احياناً الى القفار المحرقة التي تلي بلاد الجليل ويقيم فيها للتأمل والافتكار · ولكنه هنالك كان لا يجد الا اله ايوب اله القوة والصرامة والعقاب· اما حين رجوعه الى الجليل فانه كان يجد تحت سمائها وسط اكامها الخضراء ومروجها الفيحاء اله المحبة والسلامة اباه وابانا الذي في السموات · وكان في كل عام يحج مرة الى اورشليم مع حجاج الناصرة وهناك يختلط بشعبه ويقف على ما كان يجول في نفسه · فكان الحج كان عبارة عن التقاء ابناء الشعب الاسرائيلي في اورشليم مرة في كل عام

الفصل الرابع · بدء تعليمه

ولما مات يوسف انتقلت مريم العذراء بولدها الى قانا الجليل · وربما كان اصل العذراء نفسها من قانا هذه · اما هذه القرية فقد كانت قائمة على مسيرة ساعتين ونصف من الناصرة · وفيها صرف المعلم العظيم قسماً من شبابه وظهرت اولى اعماله

وكان السيد نجارًا كيوسف ولم يكن ذلك مما يحط شان الانسان في ذلك الزمان لانه قد جرت عادة اليهود يومئذ بوجوب تعليم كل منقطع الى الشؤون العقلية صناعة ما · ولذلك كان كثيرون من اكابر علماء اليهود يحسنون الصنائع اليدوية مثل «ربي يوحانان» الذي كان اسكافاً و«ربي اسحق» الذي كان حداداً والرسول بولس الذي كان صانع بسط وسجادات · ولا يعلم احد كيف ابتدأ يسوع تعليمه ولكن الثابت انه اتخذ فيه طريقاً جديداً · وقد راينا ان يهوذا الغولونيتي كان يفضل الموت على ان يلقب احداً (سيد الامة) غير الله وحده ولكن يسوع ترك لقب «السيد» لمن شاء ان يتلقب به ولقب الله بلقب احلى منه اعني : ابانا · وعلى هذا الاساس بنى تعليمه السامي الذي يجعل البشر اخوة على الارض والخالق في السماء ابًا لهم رؤوفاً بهم شفوقاً عليهم توابًا رحيماً يطلع شمسه على الخطاة وعلى الصالحين

ولم يكن يسوع يعلم ضد الشريعة الموسوية ولكنه كان يظهر من كلامه عنها انه كان يراها غير كافية ومما ساءه منها وضع الانسان وسيطاً بينه وبين الله واشتغاله باعراض الامور عن جواهرها ولذلك كان عدوًا لدوداً للتفاصيل الدينية التي كانت تخنق الاصل وكان ضد الكهنة الذين لم يكن لهم شغل غيرها

الفصل الخامس · يوحنا المعمدان

وفي هذا الوقت انتشرت في جميع انحاء فلسطين شهرة رجل عظيم كان يعيش في البرية مرتدياً بجلود الحيوانات ومغتذياً من العسل والجراد البري · وهذا الرجل هو يوحنان او يوحنا الملقب بالمعمدان · وكانت اقامته على شاطىء نهر الاردن في القفار التي تليه · وقد بلغت شهرته اعظمها في سنة ٢٨ من الميلاد المسيحي اي بعد انقضاء ١٥ عاماً على ملك طيباريوس · وكان يوحنا مهيباً كبير النفس جريء القلب فكان يذم الكهنة الاغنياء الذين يحبون المال والفريسيين والكتبة ويدعو الفقراء والضعفاء الى التوبة للنجاة من الضيق والذل

ولان ملكوت الله قد صار قريباً . فتهافت الشعب عليه ليعمده في الاردن بحسب طريقته الجديدة وكان في جملة الذين قصدوه الشاب يسوع وتلامذته الاولون (وقد تمنى المؤلف لو لم يكن السيد قد اجتمع بذلك المعلم الكبير لاسباب نضرب صفحاً عن ذكرها كما صنعنا بكثير غيرها) . قال وقد اقام يسوع حيناً بازاء يوحنا المعمدان ثم دخل الى البرية القريبة من هناك ليفتكر بما كان في نفسه وما كان يقوله يوحنا . وكان مشهوراً لدى اليهود حينئذان تلك البرية مسكن الابالسة والشياطين فقالوا ان ابليس جاء يجربه . وبعد اقامته في البرية اياماً قضاها في التامل والافتكار خرج منها فسمع ان الحكومة قبضت على يوحنا المعمدان وزجته في السجن فعاد بتلامذته الى الجليل لئلا يُتهم بالاشتراك في حركة يوحنا . اما سبب القاء القبض على يوحنا فقد ذكره المؤرخ يوسيفوس بالتفصيل وهذه خلاصته

لما كان يوحنا في الجهات التابعة لبيلاطس لم يمسه بيلاطس بسوء على ما يظهر ولم يضايقه . ولكنه لما اقام في جهات الاردن واخذ يعمد ويعلم وتحمس الشعب لكلامه البليغ وسلطته على النفوس حتى لقد حسبوه ايليا عاد ونُشر — خشي انتيباس حاكم تلك الجهات عاقبة هذا الامر لان الحركة السياسية كانت ظاهرة في اقوال يوحنا من ان اكثرها كان موجهاً الى ذم ملوك العالم وحكامه . فبقي انتيباس يراقبه حتى حدث له معه حادث شخصي حمله على سجنه .

وذلك انه كان لهيرودس الكبير حفيدة تدعى « هيروديا » وكانت طماعة قاسية محبة للخلاعة والسلطة فازوجها جدها هيرودس الكبير من عمها هيرودس بن مريان وربما كان ذلك بغير رضاها لان زوجها كان محروماً من حق الملك والولاية . فاصبحت هيروديا بذلك احط من نساء اقربائها شاناً لان زوجها ساقط الحق لا يملك ابداً وهي لطمعها كانت تريد الوصول الى الملك مهما بذلت في سبيله . وكانت هيروديا جميلة فعزمت على اتخاذ انتيباس الذي تقدم ذكره وسيلة الى غرضها . وكان انتيباس هذا مقترناً باميرة عربية وهي ابنة الحارث ملك بتره وامير القبائل الضاربة ما وراء بيريا مملكة انتيباس . فسعت هيروديا لدى انتيباس في ان يطلق امرأته العربية وهي تتزوج به فرضي انتيباس بذلك من حبه لها . فدرت بهذا الامر زوجته العربية فعزمت على الفرار فجاءت زوجها واخبرته انها تريد السفر الى ماكور وهي قلعة حصينة على حدود مملكة ابيها وذلك للسياحة قليلاً في اراضيه فاجابها زوجها الى ذلك وبعث معها جنداً لحراستها . اما ابوها فقد كان اعدَّ لها وسائل الفرار من قلعة ماكور على يد القبائل التي كانت ضاربة هناك على الحدود

فاخذت تنتقل من يد قبيلة الى يد قبيلة تليها حتى اوصلوها الى قاعدة مملكة ابيها . فاقترن حينئذ انتيباس بهيروديا وكان الزواج بالاقارب الى هذا الحد محرماً عند قدماء اليهود وقد سبق لاسرة هيرودس مثل ذلك لان اليهود كانوا لا يزوجونها ولا يتزجون منها لكراهتهم لها وذلك مما كان يحملها على التزاوج فيما بينها

فلما انتشر خبر زواج انتيباس بهيروديا سخط قدماء اليهود حفاظ التقاليد القديمة ونادى يوحنا المعمدان ان هذا الزواج غير جائز . فامر عند ذلك انتيباس بالقبض عليه وسجنه . فسجنوه في قلعة ماكو التي تقدم ذكرها وكان انتيباس قد استولى عليها بعد فرار زوجته العربية منها

الفصل السادس . التعاليم المسيحية

وكان سجن يوحنا في السنة التاسعة والعشرين من ولادة يسوع

ولما عاد يسوع من جهات الاردن اشتدت سلطته على الشعب وعلى تلامذته فاخذ يعلمهم و يعظهم . وقد وضع في تعاليمه اساس فلسفة جديدة . فانه قضى باحترام السلطة والملوك اذ اوجب دفع الجزية الى قيصر ولكن هذا الاحترام كان « سطحياً » ومقروناً بشيء من التهكم . وذلك ان الملوك واصحاب السلطة لا سلطان لهم على نفوس الناس . وليس الحرية والحق من شؤون هذا العالم المملوء بالشرور بل من شؤون العالم الثاني فليس ثمت ما يوجب كل هذا الاهتمام بشؤون هذا العالم بل يجب احتقار الدنيا وملاذها وتوجيه قوى النفس كلها الى الحياة الثانية . وبهذا التعليم وضع للنفوس في هذا العالم اساس حرية جديدة مستقلة عن كل سلطة وجعلها مستريحة هادئة مهما عصفت بها عواصف المصائب والاحزان . ولا ننكر ان بعضاً من فلاسفة اليونان كالزينونيين مثلاً استطاعوا انشاء هذه الحرية في نفوسهم وعاشوا بها احراراً في وسط الظلم والاضطهاد اذ لم يكونوا يعبئون بمصاب او يبالون بالم ولكن لم ينقطع احد منهم عن هذا العالم و يحسب الدنيا وطناً وقتياً له والآخرة الوطن الحقيقي كما كان يحسب ذلك المسيحيون

ومع ذلك فربما لم يسلم هذا التعليم من اعتراض قوي . وهو ان وجوب اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله قد يكون اقوى وسيلة لمساعدة الظالم واحتمال نير المظالم وفي ذلك ما فيه من انتشار فساد الاحكام والرضوخ للحكام الظلام لانه يقضي باحترام كل سلطة تقوم ولو كانت جائرة فاسدة . ولذلك لا اخطيء اذا قلت ان الديانة المسيحية قد اضعفت من هذا

الوجه واجبات الوطني لوطنه وساعدت في اسلام العالم الى السلطات الجائرة . ولكنّ ما انشأته من حرية النفوس في العالم وجعلها المسيحيين الاولين في القرون الثلاثة الاولى جمعيات حرة في وسط الاضطهاد لا حاجة بها الى السياسة ولا دخل لها فيها قد محا ما صنعته بالفضائل السياسية والمدنية.

فالذي امتازت به تعاليم المسيح انما هو سموها عن العالم وشؤونه وغلوها في جو الفضيلة والكمال البعيد . وما الحكومات بموجبها سوى قوات مادية ارضية لا قدر لها ولا قيمة . وهي شديدة على العظمة والعظماء والغنى والاغنياء . ولكن اذا كان يسوع قد حارب اولئك وهؤلاء فما حاربهم ليصرف غناهم وعظمتهم الى غيرهم ولكن للاشاة تلك العظمة وهذا الغنى لانهما اصل كثير من الجرائم والشرور . وكان اذا اخبر تلامذته بانه سيكون له شان مع الشرطة تكلم عن ذلك بلهجة تدل على انه لم يكن يحسب نقيصة ولا عارًا الوقوف لدى الشرطة والذهاب للمحاكمة . ولم يوص تلامذته قط بمقاومة الشرطة ومقابلة القوة بالقوة لانه كان يعلم ان الشر لا يُقاوم بالشر وان الانسان لا يتغلب الا بالاتضاع والمسالمة وانكار الذات والعذاب . وهذا الفكر فكر تعذّب الانسان واحتمال عذابه ليقوى به على القوة المادية التي تعذبه فكر سامٍ خاص بيسوع وحده

ولكن اذا كان العظماء والكبراء والاغنياء والكتبة والفريسيون والكهنة لا يدخلون ملكوت الله لانهم مشتغلون عنه بما في ايديهم فمن يدخله؟ يدخله ابناء الشعب والمتواضعون والضعفاء والفقراء والنساء والاولاد . وبمن يُنشأ ملكوت الله اذا كان اولئك الكبراء والاغنياء يحيدون عنه ولا يسمعون لمن يدعوهم اليه ؟ يُنشأ بهؤلاء الضعفاء والفقراء والنساء والاولاد . بهم يتغير وجه الكرة الارضية . بهم تحدث ثورة عظمى في العالم . وهذه الثورة تضع الكبار وترفع الصغار وتطأطئ الجباه العالية

الفصل السابع . في كفر ناحوم

وبعد مدة انتقل يسوع الى كفر ناحوم واقام فيها وكان عمره ٣٠ عامًا .

ولم يكن قبل هذا الحين قد علم تعليماً عمومياً ولكن خصوصياً اما الآن فانه اخذ في التعليم العمومي جاعلاً كفر ناحوم مركزًا لتعليمه ووطناً ثانياً له

. وكفر ناحوم هذه مشتقة من كلمتين (كفر) (وناحوم) ومعناها قرية ناحوم وكانت قبله قرية خاملة كالناصرة لم تشتهر بشيء ولم يرد لها ذكر في كتب يوسيفوس الا مرة واحدة

ولكنها لم تكن المقصودة بهذه الاشارة بل كانت المقصودة بركة ماء بقربها وهذا يدلُّ على شدة خمولها قبل يسوع لان بركة الماء كانت اشهر منها . وكانت كفر ناحوم مبنية على الطريقة اليهودية اي انه لم يكن فيها شيء من آثار المدنية الرومانية الشائقة التي اقامتها اسرة هيرودس في نواحي فلسطين كالتماثيل الرائقة والابنية الفخيمة التي لا يزال رجال الآثار يعجبون بها الى هذه الايام . وقد سماها اليهود بعد المسيح « مدينة المينيم اي المراطقة » يعنون المسيحيين

وكان سكان تلك البلاد الجميلة يجتمعون مرة في كل اسبوع وذلك في يوم السبت للصلاة ومطالعة كتبهم الدينية . وكان اجتماعهم في كل قرية في مكان يسمونه (مكان الاجتماع) او معبد . وكان هذا المكان عبارة عن قاعة مربعة الزوايا قائمتها وهي مزينة على الطريقة اليونانية اذ لم يكن لليهود طريقة خاصة . ولا يزال في نواحي الجليل الى هذه الايام كثير من بقايا المعابد اليهودية القديمة . وقد كان يوضع في داخلها مقاعد للجلوس ومنبر للقراءة وخزانة لوضع الكتب المقدسة . وكانت هذه المعابد نقطة عمومية يجتمع فيها اليهود مرة في الاسبوع كما تقدم لقراءة الشريعة واقوال الانبياء . وبما انه لم يكن لليهود في خارج اورشليم كهنة فقد كان لكل واحد الحق في ان يصعد الى المنبر ويقرأ للناس ويفسر القراءة لهم كما يريد . (ومن هنا يظهر ان (الانجيليين) لما ارادوا ادخال البساطة الى الصلاة المسيحية عادوا الى عادة اليهود القديمة) وكان لكل واحد من الحاضرين ان يعترض على القارئ وتفسيره وذلك مما كان يجعل هذا الاجتماع عبارة عن مجمع حر يتبادل اعضاؤه اراءهم وافكارهم . وكان لهذا الاجتماع رئيس وشيوخ وخزان وهو القارئ وقد تقدم انه المعلم ورسل وهم مراسلون او سعاة يستخدمهم رجال المعبد وشماس او حافظ الاشياء المقدسة والمعتني بها . وبذلك كانت المعابد اليهودية في فلسطين شبيهة بجمهوريات صغيرة مستقلة . وكان لها نظام شامل لكثير من شؤون حياة اليهود حتى انها كانت تصدر قرارات بشان بعض الافراد وتنفذها فيهم على يد الخزان . وكثيراً ما كان في جملة هذه القرارات العقاب بالضرب . على ان هذه المعابد المنظمة التي كانت منتشرة في جميع انحاء فلسطين هي التي حفظت التقاليد اليهودية منذ الوف من السنين واوصلتها الى هذه الايام دون ان يؤثر فيها ما حلَّ باليهود من الاضطهاد في اثناء القرون الطوال الماضية . وكان الجلوس في كرسي في مقدمة الجالسين دليلاً على امتياز الجالس بالغنى او بالتقوى . وكان المنبر حرًّا يصعد اليه كل طالب فكان ذلك باعثاً عظيماً على تسهيل نشر الآراء

الجديدة ٠ وهذا مما سهل ليسوع اظهار تعاليمه

فانه لما اراد القراءة والتعليم اول مرة في المعبد صعد الى المنبر فقدم له الخزان الكتاب المقدس فقلبه يسوع وهو واقف امام الحاضرين رابط الجاش تارة ينظر اليهم بعينيه المهيبتين الحلوتين وتارة ينظر الى الكتاب ٠ ثم اخذ يقرأ ويفسر ٠ ولكن تفسيره كان مختلفاً عن تفسير باقي القراء ونَفسه جديد على جمهور السامعين ٠ وبما ان الفريسيين كانوا قليلي العدد في جهات الجليل فكان ما لقيه منهم من المعارضة في المرة الاولى خفيفاً جداً ولكنه لو ابتدأ تعليمه في اورشليم لما استطاع ان يعلم وقتاً طويلاً بل كان الفريسيون وغلاة الدين اوقفوه عند الخطبة الاولى وحالوا بينه وبين الشعب قبل ان تؤثر فيه كلماته السحرية

ذلك ان كلام يسوع كان عذباً رقيقاً ٠ وكان صوته مؤثراً في النفوس و بلاغته تتدفق تدفقاً ٠ وكان اسلوبه في الكلام والخطابة واضحاً بسيطاً سهلاً ينم على ما في نفسه من الهدوء والرزانة وحب نصرة الضعفاء ٠ فكان صوته يفعل في نفس الشعب فعلاً غريباً وكلامه ينطبق انطباقاً عظيماً على ما في نفوسهم وتصوراتهم البسيطة اللطيفة ٠ وذلك بخلاف ما كان عليه وعاظ اليهود يومئذ من الكلام الجاف الناشف الذي لا يؤثر في النفس ولا يحركها ٠ وهكذا لم يمض وقت طويل حتى صار للمعلم الشاب سلطة كبيرة على الشعب ٠ وكان قد حصر تعليمه في بحيرة طبريا وشواطئها وكانت تلك الجهات يومئذ في احسن حالات الخصب والاقبال خلافاً لما هي عليه اليوم من الخراب والجفاف ٠ ويجدر بنا هنا ان نصفها وصف من زارها ورآها

كان على شواطئ بحيرة طبريا في ذلك الزمان خمس مدن صغيرة خلد التاريخ اسماءها كما خلد اسمي رومه واثينا ٠ وهذه المدن هي مجدله ودلمانوثه وكفرناحوم وبيت صيدا وكورزين ٠ اما الآن فلم يعد معروفاً من تلك المدن الصغيرة غير مدينة مجدلة التي منها مريم المجدلية رفيقة يسوع وهي اليوم قرية حقيرة ٠ واما باقي المدن المذكورة فقد طمس الزمان آثارها ٠ فان دلمانوثه مجهولة المكان وغير بعيد ان تكون كورزين مدفونة تحت التراب في الجانب الشمالي ٠ بقيت كفرناحوم وبيت صيدا وقد ظن بعضهم انهما كانتا حيث اليوم تل موم وعين التين وخان منيه والعين المدورة ولكن ذلك افتراض لا دليل عليه ٠ فكأن كل شيء في تاريخ الحوادث المسيحية ساعد على اخفاء آثار صاحب الشريعة الاولى ومن المحتمل ان لا يكشف البشر في مستقبل الزمان تلك الاثار التي تود الانسانية كلها ان تفد وتقبل مواطئ قدمي السيد فيها

ولم يبقَ في تلك الجهات من تلك المدن المذكورة غير البحيرة والشجيرات الصغيرة وازهار البرية وجو السماء . اما الاشجار فقد انقرضت كلها مع انّ تلك الجهات كانت مشهورة بالخصب حتى ان يوسيفوس عدّ خصبها في تاريخه من العجائب لانه كان يجتمع في ارضها الشجر التي تنمو في الاقاليم الباردة والشجر التي تنمو في الاقاليم الحارة والشجر التي تنمو في الاقاليم المعتدلة ولذلك كان الزهر دائماً فيها . واما الآن فيكفي الدلالة على ما فيها من الخراب والجفاف ان يُقال ان السكان يبحثون قبل سفرهم فيها بيوم واحد عن المكان الذي يستطيعون ان يجدوا فيه شجرة واحدة تظللهم من الشمس في اثناء سفرهم . وقد اصبحت شواطىء البحيره قفراء ولم ارَ عليها حين زيارتي لها سوى زورق واحد صغير يروح ويجيء فوق امواجه التي كانت من قبل تجتمع السفن والناس فيها يلعبون ويضحكون ويتنزهون ويتصيدون . ولكن مياه البحيرة لا تزال كما كانت صافية خفيفة . وعلى البحيرة اسراب كثيرة من الطيور السابحة تتداعب فيها . اما حرارة الجو على شواطىء البحيرة فانها ثقيلة محرقة . وانخفاض هذه البحيرة عن سطح البحر مائة و٨٩ متراً كما قدره المستر فيني . وان الذي يزورها ويحس بما في جوها من الحرارة المحرقة يستغرب انها كانت في الزمن الماضي مركزاً لحركات عظيمة لان حرارة الجو في مكان تخمد همة سكانه . ولكن يوسيفوس روى ان هواءها كان معتدلاً في ذلك الزمان . ولا غرابة في ذلك فان الخصب الذي كان فيها من حيث نمو الاشجار والنبات جدير بان يلطف الهواء ويخفف وطأة « المناخ » . ولعله قد حدث في جوها من التغيير ما حدث في جو برية رومة من هذا القبيل . واما اسباب الجفاف الحالي والخراب الحاضر فهي الحروب الصليبية . فانه بعد انغلاب الصليبيين عملت عوامل الخراب في تلك الجهات فاكلت الاخضر والهشيم . فهل درت ارض جنيساره حين كان يمشي عليها السيد وتلامذته ان هذه الاقدام الخفيفة ستكون سبباً في خرابها الآتي . هل علمتْ الاماكن التي كانت وطناً ليسوع انها ستبتاع مجدها وشهرتها الخالدة بخرابها وفنائها من الوجود

فعمل المسيح اذاً كان مقصوراً في بدء الامر على هذه المدن الخمس الصغيرة . ولا يحتمل ان يكون المسيح قد دخل الى مدينة طبرية لان اكثر سكان هذه المدينة كانوا من الوثنيين وفيهم الفينيقيون والسوريون والعرب واليونانيون . وكانت هذه المدينة مقام الحاكم انتيباس والي بيريا والجليل وساجن يوحنا المعمدان . ولكن يسوع كان كثيراً ما يرحل عن تلك الجهات المحبوبة اليه فيركب زورقاً الى شاطىء البحيرة الشرقي فيزور

جرجسه مثلاً او يسير في الجانب الشمالي الى قيصرية فيلبس في سفح جبل حرمون . ولقد سار مرة الى صور وصيدا المدينتين الفينيقيتين وكانتا يومئذ في ابان مجدهما ونموها . وغير بعيد ان يكون قد زار في قيصرية مغارة بانيوم التي كانوا يزعمون بان نهر الاردن ينبع منها والهيكل الرخامي البديع الذي بناه هيرودس الكبير قريباً من هناك اكراماً لاغسطس قيصر . ولكنه لم يكن يرتاح الى هذه البلاد البعيدة مهما كان عزها ولذلك كان يُسرع الى شاطئ جنيساره المحبوب اليه في وسط تلك الطبيعة الضاحكة التي ربي فيها

الفصل الثامن . تلامذة يسوع

ففي هذا المكان الذي يجوز ان يلقب قطعة من الجنة لان كل شيء فيه كان هادئاً جميلاً لعدم وصول الثورات التي قلبت وجه العالم اليه — في هذا المكان كان يعيش شعب هادئ نشيط مستقيم طروب للحياة ولذتها واخلاقه منطبقة على الطبيعة التي حوله . وكانت بحيرة طبرية مشهورة بكثرة سمكها فكان السكان يصطادون منه كثيراً وقد انشأوا في كفر ناحوم و بيت صيدا مصائد عظيمة عادت عليهم بسعة الرزق وكثرة الخيرات . وكانت معيشة هؤلاء الصيادين الطف معيشة وابسطها وكانوا مرتبطين بعضهم ببعض برباط القربى لانهم كانوا يتزوجون بعضهم من بعض . ولم يكن قد دخل الى بلادهم شيء من آثار المدنية اليونانية والعالمية ولكن عاداتهم كانت حسنة واخلاقهم هادئة وربما كانوا يشبهون سكان جبل لبنان في هذا الزمان . ففي هذا الوسط اقام يسوع وترك وطنه الناصرة لانه لم يجد فيها الاكرام الذي كان من حقه . وفي ذلك يقول « ليس لنبي كرامة في وطنه »

وكان في كفر ناحوم بيت امتاز باكرام السيد وهو لصيادين يدعيان اندراوس وسمعان بطرس فاقام يسوع فيه رخي البال مكرماً محترماً . وكان فيها بيت آخر لزبدة وكان له ولدان يعقوب ويوحنا وامرأة تُدعى صالومه كانت اشد الناس اتباعاً للسيد . وذلك ان النساء كن كثيرات الاكرام ليسوع لان جماله المهيب ولطفه وحسن معاملته لهن وتحذره في الكلام معهن كانت تجتذب القلوب اليه . ولم يكن الانفصال تاماً بين الرجال والنساء في القرى اليهودية كما كان في المدن ولذلك انضم الى تلامذة المسيح ثلاث من النساء فازداد بهن نادي يسوع جمالاً ورواء . وكان فيهن واحدة من مجدل وهي مريم المجدلية

وكانت من عصبيات المزاج الشديدات التأثر والانفعال فسكن يسوع بنظره الهادى، اللطيف وجماله الطاهر نفس هذه المرأة المضطربة . ثم انضم الى تلامذته متى وفيليبوس ونثنائيل وتوما وغيرهم وفي جملتهم يهوذا الخريوطي نسبة الى خريوط وهي قرية في اقصى جنوبي بلاد اليهودية على مسيرة يوم من حبرون . وكان جميع تلامذته من اهالي بلاد الجليل الا يهوذا هذا

اما نسبة التلامذة بعضهم الى بعض فقد كانت واحدة . فان السواء كان عاماً في هذه الهيئة الناشئة . وكل واحد يجب عليه ان يلقب الآخر « اخاه » اما لقب « ربي » الذي معناه معلم ولقب « ابي » فقد كانا محرمين بينهم لانه ما من معلم غير يسوع وما من أب غير الله . والكبير فيهم يجب ان يكون خادمهم . ومع ذلك فقد امتاز منهم بطرس باهميته من حيث علاقته بيسوع . فان السيد كان يقيم في منزله وكان يعظ في سفينته فكان منزله وسفينته مركزًا للوعظ والتعليم . وكان بطرس رجلاً مستقيماً مخلصاً بسيطاً يندفع لاول اشارة من السيد فكانت هذه الاخلاق تعجبه كثيرًا . فالظاهر ان صالومه امراة زبدة حسدت بطرس على مقامه فانفردت في ذات يوم بالسيد وسالته ان يجعل ولديها في المنزلة الاولى بعده . فاجابها يسوع ان الذي يروم الاستعلاء يسقط وان ملكوت الله للمتواضعين . وبذلك صرفها عن طلبها . ولما درى باقي التلامذة بما سالته صالومه استاؤوا جدًا منها

فما مر يتضح ان اكثر تلامذة المسيح كانوا صيادي سمك . ولكن لم يكن لصيد السمك في الجليل في ذلك الزمان الشان الحقير الذي له في هذا الزمان . ولم يكن من بين العشارين في تلامذة يسوع غير لاوي وربما الرسول متى ايضاً . وكانت وظيفة العشارين اي جباة الضرائب مكروهة الى اليهود في ذلك الزمان اشد كراهة لما تقدم من مقتهم الضرائب والاعشار لانها دليل على عبودية الانسان للانسان . وكان احدهم اذا رضي وصار عشارًا قطع اهله ورفاقه كل علاقة لهم معه ومنعوا الناس من معاملته والذهاب الى صندوقه لاستبدال نقودهم منه كما ورد في المشنا . وكانوا يعدون العشارين ومستخدمي الجرك وما اشبههم في جملة اللصوص والادنياء وقطاع الطرق واذا توفي واحد منهم واوصى كانت وصيته فاسدة . وكانت الطريق الرومانية الكبرى الموصلة بين عكا ودمشق الشام والتي هي من اقدم الطرق في العالم تمتد في الجليل بجانب بحيرة طبرية كما روى الانجيلي متى (الاصحاح الرابع عدد ١٣—١٥) وكانوا يسمونها في زمن الحروب الصليبية « طريق

ماريس » . فكان يمرُّ في هذه الطريق كثيرون من مستخدمي الجمرك والعشارين . وكان في جملتهم عشار يُدعى لاوي فاتى يسوع ودعاه الى مائدته فاجابه يسوع وذهب الى مائدته مع تلامذته . فكان لذلك تاثير عظيم في نفوس كهان اليهود كما جاء في التلمود . اما يسوع فلم يبال لانه اراد بذلك ان يدلهم على ان الله لا يطلب من البشر سوى طهارة القلب ونقاء الباطن

الفصل التاسع . التعليم على البحيرة

تلك كانت الحلقة التي كانت تحيط بيسوع على شواطئ بحيرة طبرية . وكانت جودة الهواء في تلك الجهات تجعل حياة هؤلاء البسطاء الودعاء عيدًا دائمًا . فانهم كانوا في النهار يركبون بحيرة تهزهم امواجها كما تهز الام سرير اولادها وفي المساء يجلسون او يستلقون على شاطئها يتحدثون ويتباحثون . فكانت معيشتهم كلها في الخلاء والهواء . وكان التلامذة يقطفون في ذلك الاوان زهرة تعاليم السيد اول نبتها ويتمتعون بارجها . وكان اذا بدا في نفس احدهم شك او ريب ازال المعلم العظيم ذلك الشك بنظرة واحدة لطيفة او ببسمة واحدة . وكل غمامة كانت تمر في جو السماء وكل حبة كانت تنبت امامهم في البرية وكل سنبلة كانت تنضج وتصفر في الحقول كانت دليلاً على تقدم العالم ودنو ملكوت الله . وكانوا في هذه النزهات الجميلة يسمعون من فم المعلم العظيم هذه التعزية الكبرى التي يزول العالم ولا تزول

« طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السماوات

« طوبى للحزانى لانهم يتعزون

« طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض

« طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون

« طوبى للرحماء لانهم يُرحمون

« طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله

« طوبى لصانعي السلام لانهم ابناء الله يُدعون

« طوبى للمطرودين من اجل البرّ لان لهم ملكوت السماوات

وكان تعليمه حلوًا ياخذ بمجامع القلوب وشبيهًا في ريحه بريح الازهار في الحقول . وكان يسوع يحب هذه الازهار حبًا شديدًا ويتمثل بها . وهو اول من ابتدع الوعظ بالامثال اللطيفة الجميلة . نعم ان في الكتب البوذية كثيرًا من الامثال تشبه الامثال المسيحية

ولكن لم يقم دليل قط على انه كان للديانة البوذية تاثير على الديانة المسيحية او كان لها علاقة بهـا

وكانت الطبيعة في الجليل بسيطة والهواء معتدلاً والعمل في زراعة الارض لا يأتي باجرة تساوي التعب فيها فلم تكن تمس الحاجة كثيرًا الى الطعام الكثير واللباس الدافىء والعمل بل كانت القناعة والاكتفاء شعار السكان كلهم · فكان ذلك يوحي الى المعلم العظيم آيات لم يخط مثلها قلم على قرطاس فكان يقول —

« لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون · بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون · لانه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضًا · لا يقدر احد ان يخدم سيدين لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يلازم الواحد ويحتقر الآخر · لاتقدرون ان تخدموا الله وممون(١) · لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تاكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون اليست الحيوة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس · انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن وابوكم السماوي يقوتها الستم انتم بالحري افضل منها · ومن منكم اذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعًا واحدة · ولماذا تهتمون باللباس تاملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل · ولكن اقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها · فان كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدًا في التنور يلبسه الله هكذا افليس بالحري جدًا يلبسكم انتم يا قليلي الايمان · فلا تهتموا قائلين ماذا ناكل او ماذا نشرب او ماذا نلبس · فان هذه كلها تطلبها الامم لان اباكم السماوي يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها · لكن اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم · فلا تهتموا للغد لان الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » ·

فهذا التعليم وهذه المبادىء كان لها تاثير عظيم على الجمعية المسيحية الاولى · فان التلامذة صاروا يعتبرون الاهتمام بالحياة والمعيشة شرًا يخنق في نفس الانسان كل خير وحسبهم ان يسالوا الله في كل يوم خبز الغد · اما كنز الكنوز وتوفير الاموال فكان امرًا قريبًا من

---

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ممون اله المال والكنوز المدفونة عند الفينيقيين والسوريين القدماء

العبث . ومما كان يقوي هذه المبادىء انتشار اللصوصية في تلك البلاد وكثرة السلبة وقطاع الطرق كما رواه يوسيفوس . فان الغني لم يكن على ثقة من غناه ولذلك كان في خوف دائم من فقده واما الفقير فانه كان مستريح البال لانه لا يخشى من اللصوص على شيء يملكه اذ لم يكن يملك شيئاً . وبناء عليه كان الفقير كأنه اغنى من الغني . واما في هيئتنا الاجتماعية الحاضرة فان حالة الفقير لا تحتمل . فان الغني عندنا على ثقة من ماله والخيرات والازهار والافياء لاصحاب الاملاك دون سواهم . واما في الشرق فالازهار والافياء والخيرات شائعة للكل ولا يملك صاحب الملك من الارض الا شيئاً محدوداً واما الطبيعة فانها ملك للجميع .

على ان المسيحية لم تكن في ذلك الامر الا مقلدة لطائفة الايسينيين اليهودية وهذه الطائفة كانت مقلدة لطائفة الفيثاغوريين اليونانية . وكان البخل هو الرذيلة الكبرى في اعتبار الهيئة المسيحية الاولى . والمراد بالبخل هنا اقتناء الملك والمال . ولذلك كان اول ما يجب على الذين يرغبون في اتباع السيد والانضمام الى تلامذته لينالوا ملكوت الله ان يتخلوا عن املاكهم واموالهم اما هبة للفقراء والمساكين او الى الجمعية المسيحية . واذا لم يصنعوا ذلك لم يكن لهم ان يسموا انفسهم تلامذة المسيح . فكان ذلك بمثابة « اشتراك في الملك والمال » وهو ما يدعو اليه الاشتراكيون في هذا الزمان . ولكن لم يلبث ان ظهر ضرر هذه الطريقة فان اجتماع الاموال لدى الجمعية المسيحية اوجب تعيين امين لحفظها فاختاروا لذلك يهوذا الخريوطي ولكنه لم يلبث ان اتهم بسرقة المال المشترك .

واشد ما يكون ظهور رغبة يسوع في محق الغنى في مَثل الغني ولعازر الفقير الذي كان يأكل من فتات مائدته . فان الغني حُمل الى النار ولعازر الى السماء . ولماذا ذلك؟ لان الاول غني تمتع بخيرات الارض ولم يهبها الى الفقراء . اما قولهم ان المقصود بهذا المثل هو الغني الشرير فقط فتأويل لا مسوّغ له وهو من الموضوعات بعد يسوع . لا سيما وانه قد قال ايضاً : أيسر للجمل ان يدخل في ثقب ابرة من ان يدخل الغني ملكوت السماوات

على انه اذا كانت هذه التعاليم ملائمة لحالة تلك البلاد يومئذ والهيئة الاجتماعية اذ ذاك فانها لم تكن ملائمة للحالة الاجتماعية في كل مكان . وقد جاء وقت رأت فيه المسيحية نفسها مضطرة الى قبول الاغنياء في حضنها . ولكن حسبها فخراً انها كانت في اول امرها مملكة الفقراء . وقد كان لقب فقير شرفاً لتلامذتها وكانوا يتلقبون به دون سواه . وقد اصبحت الشحاذة بذلك فضيلة وصناعة مقدسة . ولا يزال شيء من هذه الحالة في الديانة المسيحية الى هذه الايام . وقد كان تاثير هذا الامر عظيماً جداً ولا سيما في نفوس الطبقات السفلى

الرازحة تحت احمال الحياة · فان الانجيل كان لهذه الطبقات بمثابة ثلمة في سقف سجنها تشمّ منه ريح النسيم وتنظر وجه السماء · فكان لها اجمل تعزية واعظم تسلية · ولا شبهة في ان هذا الامر لا ينطبق على حالة الاجتماع ولا يوافق قواعد الاقتصاد السياسي ولكن رفع ثوب الفقير الى هذه الدرجة من السمو وجعل الفقر رمزًا الى المحبة والاخلاص امر جدير بكل اعتبار · فان الانسانية ترغب في ان تعلم انها لم تستوف حقها بقبضها اجرتها بل لها هنالك حق آخر وذلك مما يساعدها على حمل اعبائها · واعظم ما تُخدم به تعليمها انها لا تحيى بالخبز فقط بل هنالك شيء آخر »

﴿ الجامعة ﴾ وهنا نمسك القلم فقد بلغنا نصف الكتاب وقد لخصنا فصوله بما امكن من الاختصار فكل صفحة من صفحات المقالة التي تقدمت مقتطفة من عدة صفحات من الكتاب الذي نحن في صدده اي ان هذه التسع عشرة صفحة ملخصة من اكثر من مائتي صفحة كبيرة منه · وسنأتي على بقية هذا الكتاب الخطير في مقالة تالية ثم نردفها بردود المؤلف على مناظريه الذين حملوا عليه حملات منكرة حين صدور كتابه وبراي الجامعة في هذا الموضوع · وكل آتٍ قريب

الاستاذ ضومط وسوريا الحديثة

لما قرأتُ في العدد الاخير من الجامعة خطبة جناب الاستاذ الفاضل جبر افندي ضومط عن « سوريا القديمة والحديثة » ذكرت قول الجامعة عند تقريظها كتابه (فلسفة البلاغة) في سنة ١٨٩٩ (الجزء ١٥ السنة الاولى القسم الثاني) وهذا نصه « وانه يطيب للذين يغارون على العلم في الشرق في وسط هذه الفوضى العظيمة فوضى الطبع والنشر في مصر والشام ان يروا في المطابع حينًا بعد حين كتابًا كهذا الكتاب · فانهم يستدلون به على وجود طبقة مستترة من العلماء والكتاب تطلب العلم الصحيح لذاته وهي فيه راسخة القدم منصرفة الى درس فروعه واتحاف الشرق بمباحث جديدة مفيدة كل بحسب استعداده وفطرته · وعندنا ان هذه الكتب المفيدة التي ينشرها بعض علمائنا الحين بعد الحين تعزي بعض التعزية عما في عالم المطبوعات الآن من المضحكات والمبكيات »

ولكني بعد اعادة هذا الثناء على فضل الاستاذ ارى من الواجب ان ابحث في مسألة

في غاية الاهمية وردت في ختام خطابه . ولو لم يكن حضرة الخطيب ممن تدوي اصواتهم في الاقطار ويرجع الناس الى آرائهم وعلمهم لالتزمت الصمت فكم بين اراء الجرائد والكتاب والخطباء من آراء جديرة بالقرض لا بالرد ومع ذلك فلا يهتم احد لها . وبعد هذه المقدمة اقول .

ان جناب الخطيب قال في ختام كلامه « ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه (العلم) انما هي التجارة والصناعة والزراعة » « وان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي» فاذا ارادت سوريا النهوض من عثرتها فعلى اي ركن من هذه الاركان يجب ان تعتمد . اعلى التجارة ؟ « كلا ذلك زمن قد مضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر . افتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر ؟ اتستطيعون ان تمحوا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا وبقية جزر المحيط ؟ اتستطيعون ان تخفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجا الصالح وتردمون ترعة السويس؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة » فعلى ماذا تعتمد سوريا اذا . اعلى الصناعة « ولكن اي صناعة تعنون . اصناعتكم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارتهم» هل « فاتكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاوروبية لتقوم بها والا فتسقط لا محالة » « وقد راينا قبيل الآن ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبيهات والاحلام التي لا تجدينا نفعاً وتعالوا بنا الى الحقيقة الراهنة » تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائط النجاح امامنا الآن

فيؤخذ من هذا القول البليغ ان ابواب التجارة مسدودة دوننا لثلاثة اسباب (١) ان الغرب قد وجد لتجارته طرقاً اخصر من طرق سوريا فانصرفت تجارته عنها بعد ان كانت هذه البلاد في الزمن القديم صلة بين الشرق والغرب (٢) ان الغرب صار يصنع في بلاده البضائع التي يحتاج اليها ولا يطلب من الشرق الا المواد الاولية التي لا توجد في الغرب اي ان الصادرات اليه من الشرق انما هي جزء صغير بالنسبة الى الصادرات منه الى الشرق . وبذلك صار الشرق مغبوناً في هذه المبادلة وانصرف الربح التجاري الى الجيوب الغربية (٣) ان كل دولة من الدول تحمي تجارة رعاياها بكل قواها ولو افضى ذلك الى الحرب ولذلك قالوا ان الحروب في هذا الزمان صارت حروباً اقتصادية . اما الدولة العلية العثمانية فلا سبيل لها الى حماية تجارة رعاياها لما بينها وبين الدول من المعاهدات المجحفة بحقوقها وحقوقهم . ولقد

ارادت منذ سنتين حماية تجارتها (الداخلية لا الخارجية) بزيادة رسوم البضائع الاوربية ٤ في المائة على ما اذكر فقامت قيامة الدول عليها

ثم انه كما انه ابواب التجارة مقفلة دوننا فكذلك ابواب الصناعة لانه كما قال الخطيب واجاد « ان الصناعة تحتاج الى مثل التجارة الاوربية لتقوم بها والا فتسقط » اي انها تحتاج الى الوسائل السياسية والتجارية والعسكرية الموجودة لدى الامم الاوربية . فماذا نصنع بصناعتنا اذا كنا لا نقدر على نشرها بالقوة في مستعمرات العالم كما تصنع الدول الاوربية . بل هل لنا ان تكون لنا صناعة ونحن لا نقدر في بلادنا على حماية بضائعنا من البضائع الاوربية التي تُصنع ارخص ثمناً منها واكثر اتقاناً . اذن فلا نهوض لسوريا بالصناعة

ولكن اذا كانت سوريا لا تنهض بالتجارة والصناعة للاسباب التي تقدمت فهل تنهض بالزراعة ؟ وهنا الاعتراض الذي لي على حضرة الخطيب

قال جنابه « لا تحلموا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمتكم ونجاحكم في المستقبل فان جميع هذه اضغاث احلام » « واذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى الزراعة . اعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها . اعقدوا شركات لشراء الاراضي واستعمارها . اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان . اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات »

اقول . اني لا انكر فوائد هذه الامور الهامة ولا اجهل نفع الزراعة للبلاد بل لكل بلد ولكني ارى ان الزراعة نفسها لا تسلم من الاعتراضات التي وُجهت الى التجارة والصناعة

فلنفترض ان الامة السورية هبت الى الزراعة في زمن من الازمان وصرفت قواها اليها فعقدت الشركات وانشأت الطرق وغرست الغرس وربت الحيوان ولم تفشل في ذلك بما في روحها من جرثومة الانقسام والتدافع . فماذا تكون النتيجة . تكون النتيجة ان البلاد السورية تغرق تحت سيل الحبوب المستخرجة من سهول سوريا وبالات القطن المستخرجة من سهول ما بين النهرين وآطنه . والخمر المستخرجة من سهول فلسطين والمواشي الناشئة في جبال لبنان والكرمل وسهول حلب وبغداد . وغير ذلك من المواد الزراعية . وترى البلاد حينئذ انه اذا لم تجد منافذ لصرف تلك المقادير الهائلة اليها وبيعها باثمان حسنة فيها فان ذلك يعود عليها بالخسران والخراب ويكون كل عملها واجتهادها كصيحة في قفر يباب . فالامر

المهم اذاً في الزراعة انما هو وجود « المنافذ » التي تنصرف الحاصلات اليها باثمان فيها ربح لاصحابها . فشانها في ذلك شان الصناعة تماماً . وكما ان الصناعة تسقط اذا لم تؤيدها القوة العسكرية والسياسية وتنشرها بمياذيب التجارة في جميع اقطار العالم هكذا الزراعة تسقط اذا لم تتيسر لها تلك الوسائل العسكرية والسياسية لتدبر لها منافذ لحاصلاتها

ان حاكم الجزائر الجديد المسيو ريفوال يعزو استياء اهل الجزائر من حكومتهم وسخطهم عليها الى سبب واحد وهو انهم افرطوا في زراعة الكرمة افراطاً شديداً فاجتمع لديهم من حاصلات الخرشي ما لم يقدروا على بيعه في الاسواق الاوروبية لكثرته فنقموا على الحكومة لانها لم تدبر لهم « منافذ » لبضاعتهم . والحكومة الالمانية عزمت على وضع رسوم جديدة على الحاصلات الزراعية الواردة الى بلادها ارضاء لحزب الزراع فساء ذلك روسيا وعزمت على مقابلتها بالمثل اذا انفذت هذا المشروع لانه يوقع بزراعها ضرراً عظيماً لسده الاسواق الالمانية في وجه الحبوب الروسية . وقد خيف من وقوع الجفاء بين روسيا والمانيا بسبب هذه الرسوم الجديدة . وايطاليا تنادي بلسان وزير شؤونها الخارجية انني لا اجدد عهود المحالفة الثلاثية مع المانيا والنمسا الا اذا عقدتا معي معاهدات تجارية جديدة يكون فيها ربح للزراع الايطاليين . ووزير خارجية هنغاريا يخطب معترضاً على الرسوم الالمانية الجديدة وان كان له من ذلك غرض سياسي غير الغرض الزراعي . والزراع الفرنسويون يقولون عن روسيا ما هذه الصديقة التي تضع على خمورنا رسوماً باهظة منعاً لها من الدخول الى بلادها . فانت ترى مما تقدم ان المسالة المهمة في السياسة الدولية صارت عبارة عن انشاء منافذ للبضائع والحاصلات الوطنية فهل يتيسر للدولة العلية العثمانية ان تجاري الدول الكبرى في هذه الطريق الكؤود

وان قيل ان مصر تصدر الى البلاد الاوروبية من القطن ما قيمته عدة ملايين جنيه وما من احد يضع العثرات في سبيل هذه الزراعة العظيمة . قلتُ ان القطن المصري اكثر ما يكون صدوره الى انكلترا وهي بلاد تمتاز عن سائر البلاد بحرية التجارة والمبادلة واما القطن الصادر الى غيرها من البلاد فان جماركها تاخذ عنه رسوماً فضلاً عن ان روسيا قد وضعت منذ عامين على جميع القطن الوارد اليها رسوماً جديدة تشجيعاً لقطنها الذي يُزرع في تركستان واواسط آسيا . بل ما لنا ولمصر واوروبا فلننظر الى سوريا نفسها نجد ان روسيا وضعت منذ سنتين رسوماً جديدة باهظة على البرتقال الصادر اليها من طرابلس ويافا مما اوقع تجار هذا الصنف في ضرر شديد . فماذا تفيد كثرة الحاصلات اذا كانت

الاسواق الخارجية تسدُّ دونها والدولة العلية العثمانية لا تقدر بناء على المعاهدة المجحفة ان تُقابل المثل بالمثل بان تزيد الرسوم على بضائع كل دولة تزيد حكومتها الرسوم على البضائع العثمانية .

ثم هل نذكر المواشي الشامية الواردة الى مصر وما يوضع في سبيل ادخالها الى هذا القطر من العثرات لانها تزاحم المواشي القبرصية والاسترالية

فبناء على ذلك يكون نصيب الزراعة في بلادنا الموت العاجل اذا قُدر لها النشوء كما اقترح الاستاذ ولم تتغير هذه الحالة . اما اذا كان الغرض من اقتراح الاستاذ وجوب ان تكتفي البلاد نفسها فيما يختص بالحاصلات الزراعية فهذا امر حاصل الآن . فان سوريا يخرج فيها قمحها وفولها وحمصها وعدسها وشعيرها وفاكهتها اللذيذة من تفاح جميل كخد العذراء وبرتقال كالشهد او احلى طعماً وغيره من الفواكه والاثمار والخضر وكل حاجات معيشتها خلافاً للقطر المصري الذي يرده من الخارج شيء كثير مما تقدم وبعضه من سوريا نفسها . فليست اذاً سوريا بحاجة الى زراعة لتغذيها . ولكن الى زراعة لتغنيها . ولا غنى من طريق الزراعة الا اذا كانت وراءها يدٌ قوية تنشطها وتحميها . وهذا امر متعسر الآن ان لم نقل متعذراً لاسباب عديدة اهمها ما بين الدولة والدول من المعاهدات وهن لا يتنازلن على ما يظهر عن حرف واحد منها . فكيف والحالة هذه تكون الزراعة الركن الوحيد لنهضة سوريا

على انني اعترف ان كلامي هذا ثقيل جداً على الاسماع . فان جناب الاستاذ الخطيب قطع لسوريا الامل من النهضة بالتجارة والصناعة ولكنه ابقى لها الامل في الزراعة واما كلامي انا فانه وياللاسف يقطع الامل حتى من النهضة بالزراعة . ولكني اعتقد ان توزيع قوى السوريين على الصناعة والتجارة والزراعة معاً اكثر فائدة لهم مما لو حصروها في فرع واحد منها . هذا رأيي واذا كنتُ قد اخطأتُ فالعصمة لله وحده

﴿ مستفيد ﴾

﴿ تاريخ بني امية من اوله الى آخره ﴾ اشرنا في صدر هذا الجزء الى نشرنا مقالة فيه حاوية خلاصة هذا التاريخ ولكن كثرة المواد في هذا الجزء اضطرتنا الى ارجاء تلك المقالة الى الجزء القادم

قيصران وقيصرتان

امبراطور روسيا وامبراطورتها · امبراطور المانيا وامبراطورتها
(اخلاقهم)

لا نروم في هذا الفصل ترجمة جلالة قيصر روسيا وجلالة قيصر المانيا وانما نودُّ الاشارة الى اخلاق هذين الرجلين اللذين كثر الكلام عنهما في الشهر الاخير وتوجهت اليهما جميع الانظار

ولقد كان المؤرخ فلوطرخوس اليوناني المشهور اذا رام وصف اخلاق احد من مشاهير رجال اليونان والرومان اكتفى بسرد بعض النوادر والحكايات عنه فيدل ذلك على اخلاق موصوفة اكثر مما يدل عليه قول الواصف انه كبير صغير شجاع لطيف محب لشعبه وغير ذلك من الصفات التي تدخل من اذن وتخرج من اخرى · فلا باس ان نقتدي هنا بفلوطرخوس ونقصر الكلام على بعض النوادر التي تدل على اخلاق كل من الاشخاص الاربعة العظام الذين نتكلم الان عنهم فان ذلك لا يخلو من فكاهة وفائدة

واول ما يظهر للقارىء من مقابلة قيصر روسيا بقيصر المانيا تباين غريب في اخلاقهما فان منظر الاول هادىء لطيف يدل على بساطة وتواضع وفي عينيه جمود وتأمل يثبتان انه من رجال التصور · ومنظر الثاني جرىء مقدام تبدو فيه ملامح الانفة فتدلُّ على انه من رجال الشدة والعمل · فاحرِ بهما ان يكون قيصر روسيا قيصرًا لالمانيا الحكومة الدستورية المقيدة التي تستلزم امبراطورًا هادئًا محترمًا لحقوق البرلمان · وقيصر المانيا قيصرًا لروسيا الحكومة المطلقة التي تستلزم امبراطورًا شديد الشكيمة قوي القبضة

وتباينهما في الاخلاق هذا التباين يجعل بينهما فرقًا عظيمًا في كثير من الشؤون · فانه من المشهور عن الامبراطور غليوم انه لا يمر اسبوع الا و يلقي فيه خطبة وذلك من فرط حبه للكلام واما الامبراطور نقولا فانه يمرُّ العام والعامان ولا نسمع له صوتًا · واذا خطب على جنوده العائدين من الصين فلا يقول لهم كما قال الامبراطور غليوم « انكم رفعتم شان الاسم الالماني انكم نشرتم التمدن » او « لا تاخذوا من الصينيين امرى بل اقتلوهم وضايقوهم حتى لا يجسر احد منهم في المستقبل ان ينظر الى جندي الماني » ولكنه يقول لهم هذه العبارة البسيطة « ايها الاخوة انني اشكركم على الخدمة التي قمتم بها في الصين واتمنى لكم الراحة بعد تعبكم »

وقد تهكمت احدى جرائد برلين على الامبراطور غليوم لكثرة خطبه فصورته واقفاً امام طيور السنونو المهاجرة من المانيا يقول لها وهو رافع يديه « عودي ايتها الطيور سريعاً بسلام ليرتفع الاسم الالماني » وغني عن البيان ان هذه الجريدة من جرائد الاشتراكيين

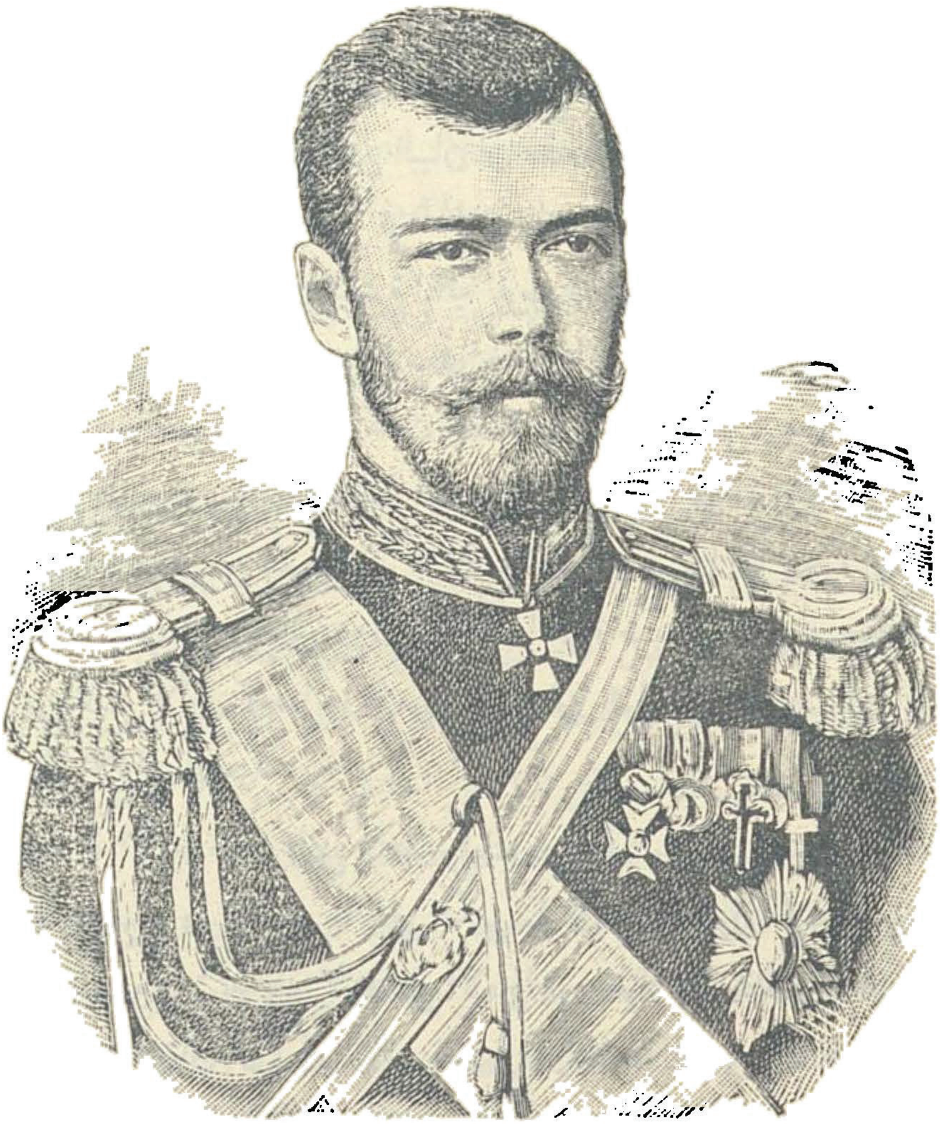
والغريب ان هذا التباين الموجود في اخلاق القيصرين موجود ايضاً في اخلاق القيصرتين ولكنه معكوس . اي ان قيصرة المانيا اقرب في اخلاقها الى قيصر روسيا منها الى زوجها الامبراطور غليوم وقيصرة روسيا اقرب في اخلاقها الى قيصر المانيا منها الى الامبراطور نقولا . يُروى عن امبراطورة المانيا انها كانت جالسة في ذات يوم مع زوجها الامبراطور وهي تفحص قطع نسيج بين يديها فالتفتت اليه وقالت انني لا ارى هذه الالوان تلائمني لانني صرت عجوزاً واخجل من لبسها فقال لها الامبراطور فدعيها اذا وغداً ارسل اليك الواناً فاتحة تلائمك . وفي اليوم التالي ورد على الامبراطورة صندوق مملوء انسجة بالوان ازهى وابهى من تلك الالوان ومعها ورقة من الامبراطور يقول فيها انه يجب ان لا تلبس الامبراطورة الا الالوان الزاهية

فكأنَّ جلالة الامبراطور غليوم يُنفذ سلطته حتى في ملابس زوجته

واما علاقة قيصرة روسيا بقيصرها فهي عكس ما تقدم كما يقول الاخباريون . فان الامبراطورة الكسندره ذات سلطة عظيمة على الامبراطور نقولا فلا يخالف لها امراً حتى في الشؤون السياسية . ويقال ان اكبر الناس نفوذاً في البلاط الروسي ثلاثة الامبراطورة والمسيو دي ويت وزير المالية والنائب العمومي في المجمع المقدس (السينودوس) . فكل رأفة وحلم ورغبة في التقدم والارتقاء تظهر من الحكومة الروسية تكون من تاثير القيصرة او المسيو دي ويت . وكل ضغط وتضييق وشدة تظهر من الحكومة تكون من تاثير النائب في السينودوس . ولعل هذه الاقوال لا تخلو من مبالغة

ومن مزايا الامبراطورة الكسندره انها لا تترك الامبراطور زوجها يخرج من القصر وحده لانها تخاف على حياته الثمينة . واحلى اوقات الامبراطور هي الاوقات التي يكون فيها مع الامبراطورة والغراندوقات بناتها الاربع . واذا كان الامبراطور جالساً ودخل عليه احد وزرائه لشغل خاص تهمُّ الامبراطورة بالانصراف فيمسكها الامبراطور ويقول لها اجلسي فان المكان يسع ثلاثة . ولما ولدت الامبراطورة البنت الاخيرة اخذت تبكي لانها لم تلد ذكراً ليكون ولياً للعهد فبذل الامبراطور جهده في اسكاتها واظهار رضائه عنها

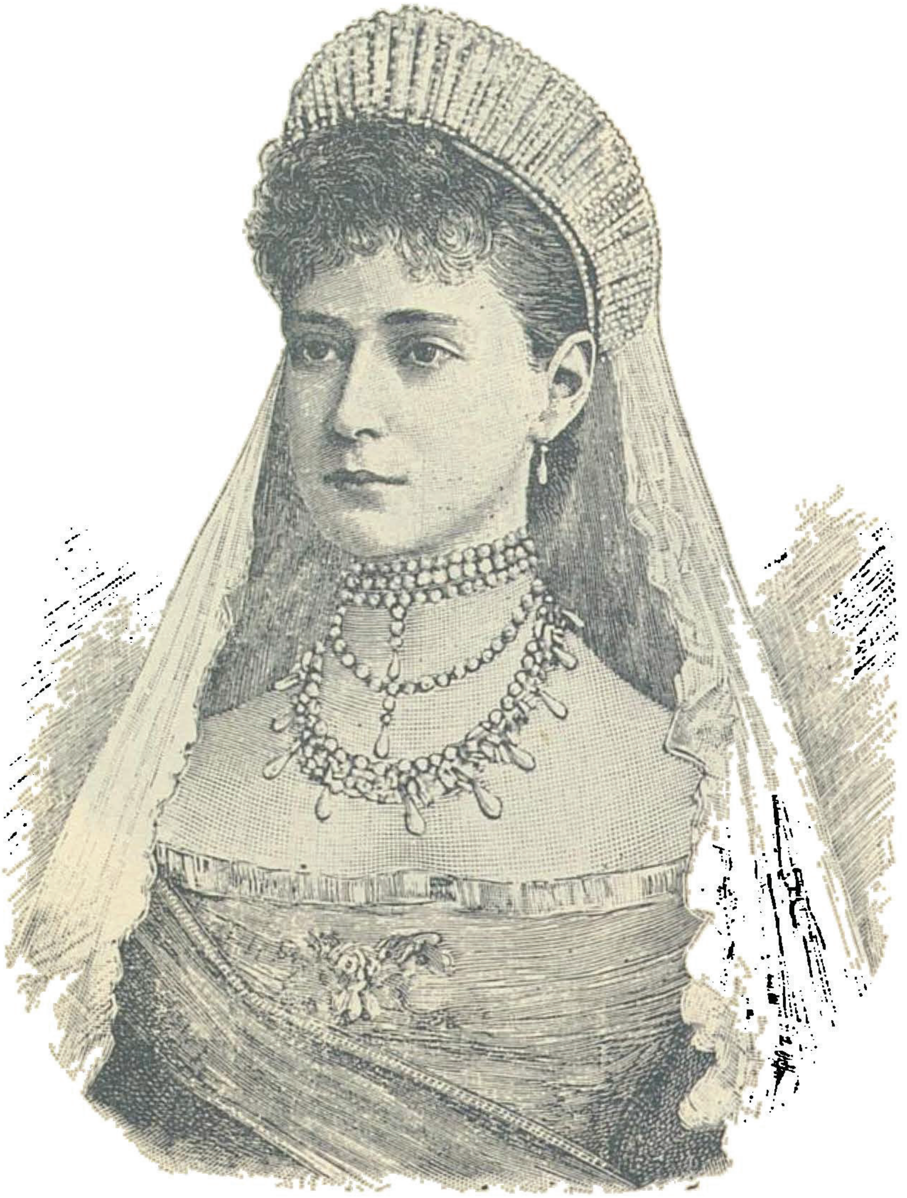
وللامبراطور نقولا حلم غريب قلما يُرى في ملك سواه وهذا اعظم شرف له . روى



﴿ جلالة القيصر نقولا ﴾

المسيو بريسون في جريدة الطان ان القيصر قبل وصوله الى فرنسا في الشهر الماضي دعا
بحارة الدارعة ستندارد الى مائدته الخصوصية جريًا على عادته · فجاءوا وجلسوا يوًاكلون
امبراطورهم · وكان بعضهم مصابًا بالدوار من شدة اضطراب البحر ولا يستطيعون الاكل
فدرى بذلك الامبراطور من اصفرار وجوههم فقال لهم اذا كان احد منكم يشكو المًا او
اعتلالاً فليصعد الى ظهر السفينة لاستنشاق الهواء · فاجاب البحارة انهم لا يشكون شيئًا
وذلك لانهم رأوا نهوضهم عن مائدة الامبراطور امرًا لا يليق بهم · ولكن نقولا اللطيف
شعر بذلك فقال بعد هنيهة انني اشعر باعتلال فاسمحوا لي بالدخول الى غرفتي ثم قام
ودخل الى غرفته لكي لا يضايقهم حضوره · فانصرف البحارة مسرورين معجبين

غير ان هذا الحلم غير مقرون بضعف كما يظن القارئ · والدليل على ذلك



﴿ جلالة القيصرة الكسندره ﴾

الحكاية التالية ٠

قبل ارتقاء القيصر الى العرش الامبراطوري اعلن انه سيرتقي اليه برتبة كولونل (مير الاي) بخاء عمه الغراندوق الكسيس على ما تذكر واظهر له وجوب ان يرتقي الى رتبة جنرال طبقاً للاصول ٠ فقال له القيصر الشاب لا باس ٠ فالحّ الغراندوق في ذلك ٠ فاجابه القيصر حينئذ « ارجوك يا عماه ان لا تتعب نفسك من اجلي فاني قادر على ترقية نفسي متى شئتُ » و بذلك ايد سلطته على كل سلطة ٠

وعلى ذكر رتبة الكولونل التي ارتقى بها القيصر الى العرش نروي عنه نادرة ثانية ٠ وهي



﴿ جلالة امبراطور المانيا ﴾

انه كان يتنزه في ذات يوم في حديقة قصره وهو لابس ملابسه العسكرية التي هي ملابس كولونل . فمرَّ من هنالك جنرال رومي من موظفي القصر . ولما رأى الجنرال ان الكولونل الواقف امامه لا يحييه التحية العسكرية التفت اليه بهيئة رسمية وقال : لماذا لا تسلم السلام العسكري الرسمي على جنرالك ايها الكولونل . فاجاب القيصر : لانني لم ارتق الى العرش ايها الجنرال الا منذ بضعة شهور فما عرفت انك جنرال . فتصور حالة الجنرال حينئذ

وله نوادر كثيرة مع جنوده وضباطه . منها انه بلغه في ذات يوم ان بعض الضباط آلوا على انفسهم انهم لا يجالسون ولا يحادثون كل ضابط يركب الترمواي لاعتبارهم ركوبه عارًا على الضباط و رغبتهم عنه في المركبات الفاخرة . فركب القيصر ذات يوم على غفلة من رجاله احدى مركبات الترمواي وسار الى ثكنة اولئك الضباط فقال لهم . هل تحادثون امبراطوركم ايها السادة ام لا فانني جئت بالترمواي لا في المركبة . فكادت مرائرهم تنشق من الخجل .

وليس غريبًا ان ينفرد قيصر روسيا هذا الانفراد و يسير في شوارع بطرسبرج وحده



﴿ جلالة امبراطورة المانيا ﴾

فانه قد اشتهر بالغائه الاحتياطات السرية الغريبة التي كان يتخذهـا القياصرة قبله لحفظ نفوسهم وصار الدخول على الامبراطور والاقتراب منه امرًا بسيطًا جدًا بالقياس الى الحالة الماضية . ولقد زار القيصر مرة موسكو فكان اذا مرَّ بشوارعها لا يرى غير حراب الجنود وقبعاتها وملابسها . فالتفت الى حاكم موسكو وقال له « ولكن اين الشعب اين الشعب فانني ما جئت لاشاهد الجنود ولكن لاشاهد شعبي » ثم صار يروح ويجيء بمركبته بين جماهير الشعب سالكاً اليهم طرقاً غير الطرق الرسمية التي كانت تحف بها الجنود من كل جانب.

والقيصر نقولا يحمل على عاتقه الضعيف اعباء كل سلطنته الواسعة . فانه ينظر في جزئيات حكومته وكلياتها ولا يوقع على ورقة ما لم يفحصها فحصاً دقيقاً . وهو يسهر الى ما بعد منتصف الليل في اعماله واحياناً تتكاثر اشغاله فتطلع الشمس عليه وهو جالس . وقد تدخل الامبراطورة عليه في الصباح فتراه متكئاً على التقارير والاوراق التي بين يديه وهو يختلس الكرى اختلاساً من تعبه . ولذلك قال في ذات يوم لبعض اخصائه انني لا اريد لعدوي تعباً كالتعب الذي اعانيه في منصبي

ولكن واأسفاه ان كثيرًا من شؤون الامبراطورية واصوات الضعفاء وظلامات المتظلمين لا تصل الى جلالة القيصر مع رغبته في النظر في كل شيء والاصغاء الى كل شكوى. وهذا شان ملازم للسلطة المطلقة التي تكون محاطة بحاشية لا توصل اليها الاما تريد ان يصل

واخر ما روي عن جلالة القيصر ما تحدثت به الجرائد يوم زيارته لفرنسا في الشهر الماضي . فان الحكومة الفرنسوية انفقت على استقباله الباهر ثلاثة ملايين فرنك وجمعت لحراسة الطريق التي مرّ فيها جلالته ٤٥ الف جندي مع ان نابوليون الاول قد انتصر في اعظم معاركه بجيش اقل عددًا من هذا الجيش . ولقد انزلته الحكومة في قصر كومبيين الامبراطوري فنام القيصر في سرير نابوليون الاول والقيصرة في سرير الملكة ماري انطوانت زوجة الملك لويس السادس عشر . ومن النوادر التي حدثت له في اثناء هذه الزيارة ان القيصر لما زار مدينة ريمس استقبله محافظ المدينة حسب العادة . ولكن هذا المحافظ كان اشتراكيًا فلم يخاطب القيصر بالجلالة حسب العادة ولكنه كان يجعل لكلامه اسلوبًا يغنيه عن استعمال كلمة الجلالة فكان يقول مثلاً « هل يتفضل الامبراطور و يقبل شيئًا من تفاحنا وخمرنا » فاضطرب رجال الحكومة لذلك ولكن القيصر شعر بالامر فابتسم للاشتراكي وزاد في ملاطفته فذاق من خمره (وخله) وكان يدعوه ياحضرة المحافظ والمحافظ لا يقول ياذا الجلالة بل هل يريد الامبراطور ان يرى هذا. وهلمّ جرًا . ثم شرب القيصر نخب مدينة ريمس وهو يبتسم ولم يكن ينقصه الا ان يشرب نخب جناب المحافظ...

ولما التقى القيصر بالامبراطور غيليوم في دنزيج والمسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية في دنكرك اجتمعت من هؤلاء الرجال الثلاثة صور الحكومات الثلاث التي تحكم العالم في هذا الزمان . الاولى الصورة المطلقة يمثلها القيصر الروسي . والثانية الصورة الملكية المقيدة بالدستور يمثلها القيصر الالماني . والثالثة الصورة الجمهورية التي هي حكومة الشعب بواسطة الشعب يمثلها الرئيس الفرنسوي . وجدير بمحبي التفكر ان يتأملوا في هذه الصور الثلاث ويتساءلوا عن احسنها . ولكن ماذا يفيد التساؤل فان هذه القضية القديمة تختلف فيها من عهد اريسطو وافلاطون الى مونتسكيو و باكون . وذلك لان لكل واحدة من تلك الصور منافع كما لها مضار . فكانّ البشر لم يهتدوا بعدُ الى افضل هيئة لحكومة انفسهم او انّ الانسان لا تصطلح احكامه الا متى صفت نفسه عن كدورات المادة والوحشية . وهذا امر لا ياتي الا بالتدريج . فالنصبر فان الله مع الصابرين

ابن الغني وابن الفقير

للشاعرة المشهورة الا ويلككس ويلر نشرت في جريدة الجورنال في نيويورك وعربت الى العربية بقلم الشاعر المجيد اسعد افندي رستم

ورب نعامة جاءت تطير كأن الله باعثها القدير
تصفق بالجناحين ابتهاجاً بكل منهما طفل صغير
فاعطت منهما طفلاً لشخص غني عنده مال كثير
وآخر اودعته بيت شخص فقير كلما فيه حقير

***

فعاش ابن الغني على رفاه وكان لديه من ذهب سرير
وباهى فيه والده سواه وقال ستسمعون بما يصير
فاني سوف اجعله مليكاً ترافقه السعادة والسرور
ويصبح آمراً براً وبحراً تدين له كما شاء الامور
فما لبث ابنه ان شب يوماً وقد كادت تضيق به القصور
فدار الارض في شرق وغرب ودولاب الغنى معه يدور
وسار له مع الركبان ذكر تردده الاناثى والذكور
الى ان بالنقود ابتاع يوماً عروساً ما لصورتها نظير
وكان يقيم في عز وامن ويحرس راسه جمع غفير
ولكن كان يشكو الدهر دوماً كأن العيش فيه عليه نير
ولم يك قانعاً لو صرن ملكاً تضيء له الكواكب والبدور
وللشهوات اطلق كل يوم عناناً قد يضل لمن يدير
فاصبح منكراً لله فضلاً واضنته الرذائل الشرور
ولم يطل الاله له حياة فكان جزاءه العمر القصير
ومات فكان في عيش وموت تعيساً مثله تحوى القبور

***

واما ابن الفقير فشب يسعى وراء القوت وهو به جدير

وكان مهذباً فطناً رزيناً — على خطوات والده يسيرُ
يطيل حياته عيشٌ رغيدٌ — يكاد عليه يحسده الاميرُ
قنوعٌ بالقليل من العطايا — لخالقه ووالده شكورُ
ولا مالـــ يزيد عليه همّاً — فلم يكُ يستعير ولا يعيرُ
وكنت تراه ذا جسم صحيح — وذاك لحسن سيرته يشيرُ
فلا مالـــٌ يسير به الى حيـ — ـث بالامراض تعتلُّ الصدورُ
احبَّ وقد احبته فتاة — يحاكي وجهها القمر المنيرُ
فما لبثا ان اقترنا وكانت — تمر على سعادته الشهورُ
ولما ان دنى الاجل المسمى — وحان له الى الاخرى المسيرُ
تصرَّف حين جاءته المنايا — كما يتصرَّف الرجل الجسورُ
واسلم امره لله طوعاً — لان رجاءه فيه كبيرُ
ومات وفي محياه ابتسامٌ — : اذن فمن الغني ومن الفقيرُ ؟

(نقلاً عن مرآة الغرب الغراء)

حجارة مُنقضَّة من السماء

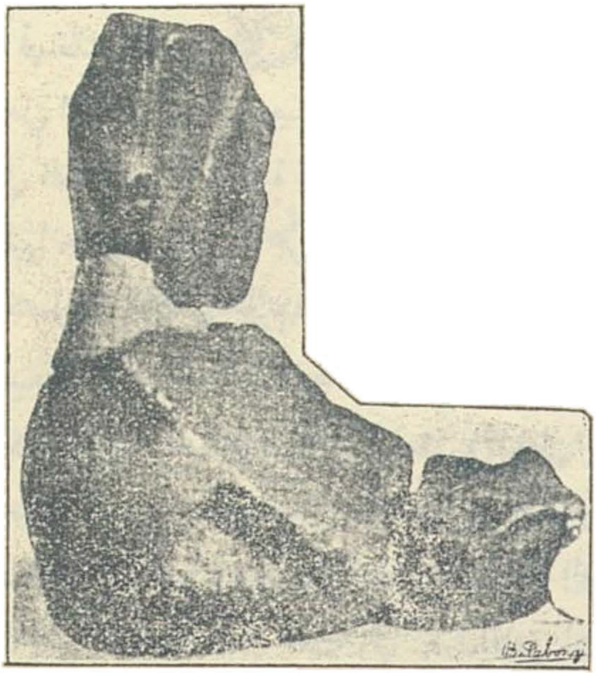
﴿ الرجم ﴾

لا عجب اذا استغرب القارىء هذا العنوان فقد استغربته قبله اكاذمية العلوم في فرنسا وانكرت انقضاض الرجم على الارض · وما زالت على هذا الانكار حتى ٢٦ افريل عام ١٨٠٣ فان الرجم انقضت يومئذ على مدينة لكل في مقاطعة اورن الفرنسوية في رابعة النهار والناس ناظرون فتنزلت الوفاً الوفاً على تلك المدينة · ومنذ ذلك الحين اخذ العلماء يهتمون بهذه المسألة اهتماماً شديداً ·

﴿ ماهيتها ﴾ وهذه الحجارة ثلاثة انواع · النوع الاول مؤلف من الحديد والنيكل يخالطها شيء قليل من مواد اخرى · والنوع الثاني مؤلف من مادة معدنية ومادة صخرية متساويتين في الحجم والتركيب تقريباً · والنوع الثالث مؤلف من مواد صخرية يخالطها شيء قليل من مادة الحديد والنيكل

ولقد اهتم علماء الكيمياء والجيولوجيا بهذه الحجارة اهتماماً خاصاً لانهم وجدوا انهم يستطيعون بواسطتها الوقوف على حل لبعض المسائل العلمية الكبيرة التي اعيام حلها. فالكيماويون يفحصونها لتحليل مادة الاجرام السماوية ومقابلتها بمادة الارض . والجيولوجيون يفحصونها ليقفوا على السر العظيم نعني كيف تألفت مادة ارضنا وباقي الاجرام التي تسبح في الفضاء معها . ولذلك تجد العلماء يبذلون في جمع هذه الحجارة كل عزيز ويبتاعونها باثمان طائلة ليؤلفوا منها مجموعة ترشدهم بكثرة موادها واختلافها في السبيل الذي يسلكونه

﴿ الرجم القديمة ﴾ وقد انتبه القدماء الى هذه الحجارة ايضاً . واول حجر اشاروا اليه في مصنفاتهم حجر سقط في جزيزة كريت في سنة ١٤٧٨ قبل الميلاد المسيحي. وقد هبط في القرن الخامس من الميلاد على شواطئ نهر اوغوس بوتاموس في نواحي بلغاريا حجر كبير « بحجم المركبة » كما قال احد مؤلفي اليونان . وكان هذا الحجر ثابتاً في مكانه



حجر نزل في بوتوسوره (الهند)

(وهو هنا ثلاث قطع مركبة بعضها فوق بعض)

في عهد الامبراطور جوستينيوس . وفي القرون التالية سقط كثير من الرجم في اوربا وآسيا فبقي ذكرها في ذاكرة الشعوب ومؤلفات عدة من مؤلفي ذلك العصر

﴿ الرجم الحديثة ﴾ اما الرجم الحديثة فان في المتاحف كثيراً منها . وهي

متفاوتة الحجم . فبعضها صغير جداً كالبيضة او اصغر منها و بعضها كبير جداً لا يستطيع الانسان تحريكه بيده . منها حجر بالاس الذي نُقل منذ قرن من سيبيريا الى بطرسبرج وثقله ٨٠٠ كيلوغرام فاقبل الروس على مشاهدته من كل حدب وصوب و بعضهم زعم البركة فيه فصار يتبرك به . ومنها الحجر الاوسترالي المحفوظ الآن في المتحف الانكليزي وثقله ١٦٠٠ كيلوغرام . والحجر البرازيلي المشهور في بمديكو وثقله من ٨ الى ١٢ الف كيلوغرام . وقد حاول الناس نقله فلم يقدروا على ذلك من ثقله

وقد سقطت في ٢٦ مايو عام ١٧٥١ في مدينة اغرام قاعدة ولاية كرواتيا في هنغاريا قطعة من الحديد والنيكل زنتها ٤٠ كيلوغراماً. وفي ١٤ يوليو من عام ١٨٤٧ سقطت قطعة على سقف منزل في برانان من اعمال بوهيميا فاخترقت سقف البيت وغاصت في الارض. فتصوَّر صراخ اهل المنزل وخوفهم . والرجم مستمرة الانقضاض في كل يوم تقريباً ولكن بعضها نراه وبعضها لا نراه

﴿ من اين تأتي تلك الحجارة ﴾ والان لا بد ان يسال القارىء من اين تاتي هذه الحجارة فنجيبه ان اهل العلم مختلفون في مصدرها . ولكن اكثرهم على انها بقايا اجرام سماوية قديمة كانت سابحة في الفضاء طوعاً لجاذبية الاجرام التي تجتذبها اليها فتارة تكون هنا وتارة هناك حتى تتغلب عليها جاذبية بعض الاجرام فتجذبها اليها فتحمى لسرعة انقضاضها في الفضاء وتتطاير شذر مذر فتصل بقاياها الى الجرم الذي جذبها. وهذا الرأي راي ستانيسلاس مونيه

ومما يدعمون به هذا الراي ان بعثة علمية اسوجية اكتشفت في عام ١٨٧٠ في اوفيفاك على شاطىء جزيرة ديسكو في سفح صخرة بركانية شاهقة على شاطىء البحر ثلاث قطع ضخمة من الحديد وكثيراً غيرها اصغر حجماً منها. فاهتمت الحكومة الاسوجية بالامر و بعثت سفنها الحربية فنقلت هذه القطع الى اوربا وفي جملتها قطعة ثقلها ٢٤ الف كيلوغرام وهي اعظم قطعة وُجدت الى الآن . وقد حسب العلماء في بدء الامر ان هذه القطع الحديدية رجم سقطت من السماء ولكن العالم نوردنسكيولد الذي ذهب هذا المذهب اولاً عاد فاقتنع كل الاقتناع بان تلك القطع الحديدية كانت مقذوفة من جوف الارض الى سطحها بثورة بركانية . فثبت بذلك ان الاجرام السموية التي تختلُّ جاذبيتها في الفضاء وتنجذب الى جرم اقوى منها تتطاير شظايا ترابها وصخورها في سقوطها ويحترق بعضها و يصل الى الارض او الى الجرم الجاذب ما في جوفها من المواد المعدنية التي تتحد بشيء من ترابها بقوة النار . فالحجارة الساقطة اذاً تكون من جوف الاجرام الفانية لا من سطحها والله اعلم

ولقد نشرنا في هذه المقالة رسم قطع حجر سماوي نزل في بوتوسوره في الهند في ١٢ مايو من عام ١٨٦١ واكثره من الحديد والنيكل كما يرى القارىء · ولكن من اي جرم سماوي انفصل هذا الحجر · وهل كانت امه ماهولة او غير ماهولة · واذا كانت ماهولة فهل كان بشرها ارقى من بشر الارض او ادنى اخلاقاً · وهل كان عندهم سجون تعذب الناس وثكنات عسكرية تجمع الشعب لتحمله السلاح وتعلمه قتل قريبه تاركة الحقول والاودية بلا زرع ولا ضرع · ورجال تُسَدُّ ابواب الحياة في وجوههم فيجعلون انفسهم فوضويين · ونساء لا تعتني الهيئة الاجتماعية بهنَّ وباولادهن فيبعن شرفهن لياكلن به خبزاً · ورؤساء شرهون لا همَّ لهم غير انفسهم · ومرؤوسون ضعفاء يُساقون بالسياط كالانعام السائمة · وكل شيء فيها صغير وضيع في نظر اهلها الا الذهب والقوة المادية — هل كان فيها شيءٌ من كل ذلك — الله اعلم

صفحة الشعر

ديوان

﴿ حافظ افندي ابرهيم ﴾

اذا كان احمد بك شوقي متنبي مصر فان حافظ افندي ابرهيم ابو تمامها · واذا قابلت بين ما نشرناه من مختارات شوقي بك في الجزء الثاني من السنة الاولى ومختارات حافظ افندي التي ننشرها الآن ورأيت رقة الاول وحذره في شعره ووثبه فيه حيناً بعد حين الى اعلى قمم الفكر ورأيت فصاحة كلام الثاني ومتانته واندفاعه باسلوب عسكري حتى قال فيه واصف مجيد انه يكتب بحسامه لا بقلمه — علمتَ صحة التشبيه الذي تقدم · فالاول شاعر الحضارة والثاني شاعر البداوة وكل منهما سبَّاق في فنه

ولقد نشر جناب حافظ افندي ابرهيم ديوانه وقدم له مقدمة رائقة عرف به الشعر تعريفاً مبتكراً · ومما قاله فيها ان « خير الشعر ما سبق دبيبه في النفس دبيب الغناء ثم سبح بها في عالم الخيال فاراها جميلاً وهو يرنو الى بثينة ويقول

وكم قلتُ في شعري لكم وصبابتي　　احاديث شوق ٍ شرحهنَّ يطول
فان لم يكن قولي رضاكِ فعلمي　　نسيم الصبا يا بثن كيف اقول

والمجنون وهو يضرع الى ليلاه و ينشد

عليَّ اليَّةٌ ان كنت ادري اينقص حبُّ ليلى ام يزيدُ

واراها عبد بني عبس وهو يسابق المنية لاختطاف الارواح و ينادي

ليَ النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السلب

والشريفَ الرضي متربعاً في نادبه يُطالع في صحيفة انسابه جريدة احسابه وهو يشمُّ من لحيته ريح الخلافة ويخاطب صاحبها بقوله

مهلاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرّق

وشيخ المعرة وابا الطيب بجانبه يستصبح كلاهما بنور صاحبه واسمعها الاول وهو يقول

وبدَّلني ان المات فضيلة كونُ الطريق اليه غير ميسر

والثاني وهو ينشد

الف هذا الهواء اوقع في الانـ فس ان الحمام مرُّ المذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ والاسى لا يكون بعد الفراق

وهذا الديوان مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة التمدن في العاصمة على ورق جيد وقد شرحه جناب محمد افندي هلال ابرهيم شرحاً مفيداً لا يخلو من بعض النكات . منها ان صاحب الديوان قال في باب الخمريات

اطلق الشمس من غياهب هذا الد نّ واملأ من ذلك النور كأسي

وأذنِ الصبح ان يلوح لعيني من سناها فذاك وقت التحسي

واسقنا ياغلام حتى ترانا لا نطيق الكلام الا بهمسِ

فقال الشارح في شرحه « سئل بعضهم اي بيتٍ اذا سمعته علمتَ ان قائله ملك قال قولهُ

اسقني من سلاف ريق سليمى واسقِ هذا النديم كأساً عقاراً

ولعمري لو سمع هذا البعض تلك الاوامر المتتالية لما شك في انها صادرة عن خليفة الخلفاء او سلطان السلاطين فلا كسرى في ايوانه ولا الرشيد في جلال ملكه وسعة سلطانه ولا الفاتح وقد سقط ملك الروم في قبضته ولا نابوليون وقد طأطأت ملوك الغرب الهام لسلطته وارتجت اركان الدنيا من رهبته باشد في الامر اشتطاطاً ولا اكثر في الحكم افراطاً من شاعرنا هذا »

وقال صاحب الديوان في الخمر ايضاً

مشمولة لولا التقي لعجبت من تحريمها والذنب للقدماء
قربوا الصلاة وهم سكارى بعدما نزل الكتاب بحكمة وجلاء

قال الشارح « قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فلما عاد اليها بعضهم سكراناً نزل قوله تعالى » انما يريد الشيطان ان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » فكان بذلك تحريمها »

وقال صاحب الديوان

يا نديمي بالله قل لي لماذا هذه الخندريس تُدعى برجس
هي نفس زكية وابوها غرسه في الجنان اكرم غرسِ

فقال الشارح « نأسف ويحق لنا الاسف ان يكون بين اقوال صديقنا هذا الباب الذي كثيراً ما حدا به الى محاكاة ابي نواس في نكاته وخلاعاته الى حدٍ ربما ظنه من لم يعرفه من زيغ العقيدة والازدراء باحكام الدين في شيء لا يُغتفر »

وقال صاحب الديوان

اذكروني عند كاسات الطلا انني كنتُ امام المدمنين
ربَّ ليل قد تعاهدنا على ما تعاهدنا وكنا فاعلين
فقضيناه ولم نحفل بما سطَّرت ايدي الكرام الكاتبين

فقال الشارح في ذيله « لقد سئمت النفس وملَّ اليراع من الاشارة الى مثل هذا الهزل الذي نامل ان ينتهي بانتهاء هذا الباب »

اما مختارات هذا الديوان فمنها في مدح الجناب الخديوي المعظم

لم يبقِ احمدُ من قولٍ احاوله في مدح ذاتك فاعذرني ولا تعبِ
فلستُ ممن سمتْ بالشعر همتهم الى الملوك ولا ذاك الفتى العربي
لكن عيدك ياعباس انطقني كالبدر اطلق صوت البلبل الطرب
يا من توهم ان الشعر اعذبه في الذوق اكذبه ازريتَ بالادب
عذب القريض قريضٌ بات يعصمه ذكرُ ابن توفيقَ عن لغوٍ وعن كذب

وجعلت لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي المعظم جائزة للسابق من الشعراء فجاءتها قصائد كثيرة منها قصيدة لصاحب الديوان جاء في ختامها

قلْ للاولى جعلوا للشعر جائزة فيمَ الخلاف ألم يرشدكمُ الله

اني فتحتُ لها صدرًا تليق به ان لم تحلوهُ فالرحمن حلاّه
لم اخشَ من احد في الشعر يسبقني الا فتى ما له في السبق الاّه
ذاك الذي حكمتْ فينا يراعته واكرم الله والعباس مثواه

وفي مدح الجناب الخديوي ايضاً

وانشدُ اشعاري وان قال حاسدي نعم شاعر لكنه غير مكثار
فحسبي من الاشعار بيتٌ ازينه بذكرك ياعباس في رفع مقداري

وقال من قصيدة في وصف نادي صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

حللتُ دارًا بها تُتلى مناقبه ببابها ازدحمتْ للناس آمالُ
رايتُ فيها بساطًا جلّ ناسجه عليه فاروق هذا الوقت يختالُ

وقال في الغزل من قصيدة يمدح بها محمود باشا سامي البارودي

تعمدتُ قتلي في الهوى وتعمدا فما اثمتْ عيني ولا لحظه اعتدى
كلانا له عذرٌ فعذري شبيبتي وعذرك اني هجتُ سيفاً مجرّدًا
هوينا فما هنّا كما هان غيرنا ولكننا زدنا مع الحب سؤددا

ومنها في المدح

اعرني لمدحيك اليراع الذي به تخطّ واقرضني القريض المسدّدا
ومن كل معنى فارسي بطاعتي وكل نفور منه ان يتودّدا
فاربو على ذاك الفخور بقوله (اذا قلت شعرًا اصبح الدهرُ منشدا)

وقال في مدح المرحوم سليمان باشا اباظه

سليمان ذكّرتَ الزمان واهله بعز سليمان واقبال دنياه
اذا مررتَ يوماً حذّر النمل بعضه مخافة جيش من مواليك يغشاه
وان كنتَ في روض تغنت طيوره وصاحت على الافنان يحرسك الله
وكان ابن داود له الريح خادم وتخدمك الايام والسعد والجاه

وقال في شكوى الزمان

فان تكن نسبتي للشرق مانعتي حظًا فواهًا لمجد الترك والعربِ
متى ارى النيل لا تحلو موارده لغير مرتهب لله مرتقبِ
اذا نطقت فقاع السجن متكأي وان سكتُّ فان النفس لم تطبِ

ايشتكي الفقرَ غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارضٍ من الذهبِ
يا آل عثمان ماهذا الجفاء لنا ونحن في الله اخوان وفي الكتبِ
تركتمونا لاقوام تخالفنا .... الخ

ومن هذا يظهر ان الشاعر جندي كل ما بقلبه على طرف لسانه . ومن ذلك قوله في مكان آخر

ارى مصر والسودان والهند واحداً بها اللورد والفيكونت يستبقان
واكبر ظني ان يومَ جلائهم ويوم نشور الخلق مقترنانِ

وقوله ايضاً مشبهاً طول الليل بالاحتلال في مصر

ياساهد النجم هل للصبح من خبرِ اني اراكَ على شيء من الضجرِ
اظن ليلك مذ طال المقام به كالقوم في مصر لا ينوي على سفرِ

اما شوقي بك فانه يجتنب في شعره التصريح الى هذا الحد وانما يقول مثلاً في مثل هذا المقام

عباس انك للبلاد ولم يعدْ في مصر غيرك من يقولُ بلادي

وذلك لان مقامه من سمو الامير يوجب عليه هذا الحذر

وقال في وصف الشعر

ضعتَ بين النهى وبين الخيال يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
حملوك العناء من حب ليلى وسليمى ووقفة الاطلالِ
وبكاء على عزيز تولى ورسوم راحت بهنَّ الليالي
واذا ما سموا بقدرك يوماً اسكنوك الرحال فوق الجمال
آنَ يا شعرُ ان نفكَّ قيوداً قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشمُّ ريح الشمال

ومن قوله في بعض الجرائد اليومية ولا نظنه قاله فيها كلها

جرائدٌ ما خُطَّ حرف بها لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لاربابها كانها اول ابريل

والغريب بعد هذا ان جميع الجرائد اليومية قرظت ديوان الحافظ احسن تقريظ . فكانَ لسان حالها عند التقريظ كان يقول : كل شيء من الشاعر الظريف مقبول .

وقال يخاطب ثوبه ويذكر اكرام الناس لاصحاب الطيالس وفيه سهام حادة

يا ردائي جعلتني عند قومي … فوق ما اشتهي وفوق الرجاء
ان قومي تروقهم جدة الثو … ب ولا يعشقون غير الرواء
قيمة المرء عندهم بين ثوب … باهر لونه وبين حذاء
فعد الفضلُ بي وقمتَ بعزي … بين صحبي جزيتَ كل الجزاء

وقال في وصف الشمس

نظر ابراهام فيها نظرة … فارى الشك وما ضلّ اليقين
قال ذا ربي فلما افلتْ … قال اني لا احب الآفلين
ودعا القوم الى خالقها … واتى القوم بسلطان مبين

ومنها يريد الشمس

صدقوا لكنهم ما علموا … انها خلقٌ سيبلى بالسنين
ا الهٌ لم ينزه ذاته … عن كسوف بئس زعم الجاهلين
انما الشمس وما في آيها … من معانٍ لمعت للعارفين
حكمةٌ بالغة قد مثلت … قدرة الله لقوم عاقلين

وله في مخاطبة الثرى على طريقة ابي العلاء ابيات في غاية الجودة ومنها

ايهذا الثرى الى مَ التمادي … بعد هذا أانت غرثان صادي
انتَ تروى من مدمعٍ كل يوم … وتغذّى من هذه الاجساد
قد جعلتَ الانام زادك في الده … رِ وقد آذن الورى بالنفاد
فالتمس بعده المجرة وِردًا … وتزود من النجوم بزاد
لستُ ادعوكَ بالتراب ولكن … بقدود الملاح والاجياد
بخدود الحسانِ بالاعين النجـ … ـل بتلك القلوب والاكباد
لم تلدنا حواء الا لنشقى … ليتها عاطل من الاولاد
سلمتنا الى صروف زمان … ثم لم توصها بحفظ الوداد

هذا ما اكتفينا بنقله من هذا الديوان الذي نشر فضل صاحبه بين الفضلاء والادباء كما نشر حسامه فضله بين الاقران . ولذلك فاننا نرى احسن ثناء يوجه الى حافظ افندي ابرهيم تلقيبه بصاحب السيف والقلم .

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

نقطة مهمة في تربية البنات

او

﴿ اصلاح الرجال باكلة ضفدع ﴾

لحضرة المدموازل روزا اطون ناظرة مدرسة الاناث الاميركية بالابراهيمية — رمل الاسكندرية

المرأة محور العمران ولذلك لا يدور حديث الا ويدخله موضوع النساء وما لهن من الحسنات والسيئات . وقد قال بعض الكتاب لا شيء اعظم فائدة في العالم من النساء ولا شيء اكثر ضرراً منهن . وقد قصدوا بذلك انهن اذا رمن النفع يستطعن النفع كثيراً واذا رمن الضرر يستطعن الضرر كثيراً . وسلطتهن هذه فطرية لا يحتجن الى من يعلمهن اياها وكفى دليلاً على ذلك مقدرة حواء منذ البداية على اغراء جدنا آدم

واذا راجعنا صحف التاريخ من قديم وحديث في العالم الوحشي والمتمدن في البلاد العربية والشرقية بين المسيحيين وغير المسيحيين حتى عبدة الاوثان نجد ان حالة المرأة هي الفاعل الاول في حالات تلك الشعوب فاذا كانت مرتقية كانت الشعوب مرتقية وبالعكس فهذه القوة التي تؤثر بها المرأة على الناس هي ما نسميه «سلطة النساء»

وبياناً لحقيقة هذه السلطة لا ارى احسن من حكاية حال شرحها القائد صموئيل هوستن الاميركي . فان هذا القائد دعي في ذات ليلة الى حضور التياترو فكتب الى صاحب الدعوة يقول « لا تلوموني اذا رفضت اجابة دعوتكم لانى متأكد ان امرأتي لو كانت موجودة معي الان لما سمحت لي بالذهاب الى التياترو وليس ذلك منها عن حكم بل عن لطف تستولي به على جميع اميالي وتديرها الى حيث تشاء ولا تشاء الا الخير»

وقد ذكر هذا القائد عن نفسه انه كان في بدء زواجه شرس الاخلاق فظاً شريراً متمرداً مهما بذلت زوجته في سبيل ارضائه لا يمكنها ارضاءه . والذي كان يغيظها بنوع خاص عدم رضاه عن جميع ما تطبخه له من الغذاء فكان يقول بتهكم « ضفدع مشوي اطيب من طبيخك » فاتفق يوماً انه ارسل لها سمكاً فقالت اليوم يجب ان اجرب لعلي اتمكن منه . فبادرت الى طبخ السمك في جميع صنوفه مقلياً ومشوياً ومسلوقاً وبالفرن . واستحضرت على ضفدع مشوي ايضاً . فعند المساء جاء الزوج للعشاء فوضعت على المائدة سمكاً مشوياً . فاستقبحه وقال لو كان مسلوقاً لكان اصلح . فاحضرت المسلوق فذاقه وقال هذا سمك صغير لا يصلح للشيء ولو كان مقلياً لكان احسن . فاحضرت المقلي . وهكذا الى آخر الاصناف حتى ضجر الرجل . فقال كل شغلك هذا لا ينفع ولو كان ضفدع مشوي لكان احسن من كل طبخك . فبكل هدوء ورزانة اسرعت تلك الزوجة الكريمة واحضرت الضفدع المشوي . حينئذ انسكبت دموع القائد العظيم وقال . عفواً يا عزيزتي عن كل ظلمي وجوري واصفحي عن الماضي فاني ابدأ الان حياة جديدة . وهكذا عاشا بعد ذلك احسن معيشة . فهذه هي سلطة المراة التي يُصلح بها الرجال بل العالم كله لا غير ذلك من العناد والكبرياء والخصام

وقال جان كونسي آدم « كل ما بلغتُ من التقدم والارتقاء وكل ما حصلت عليه ناشيء عن تاثير مثال امي الحسن فيَّ ووصاياها » وهكذا قال باكس ودويت ونيوتن . واذا نظرنا في التاريخ وجدنا ان كولمبس اكتشف اميركا ولكن لولا مساعدة ايزابل ملكة اسبانيا لما استطاع النجاح . وشنطون حرر اميركا ولكن امه هي التي بثت في نفسه روح الحرية . واول مدرسة ابتدائية فُتحت للصغار في اميركا اعني المدارس العامية الكثيرة كان انشاؤها بمساعي السيدات الاميركيات

وهذا التاثير غير محصور في البلاد المتمدنة فان قبيلة موهوك المتوحشة لما شاهدت نساؤها طول زمن الحرب والشرور الكثيرة في قبيلتهن عقدن مجتمعاً نسائياً غايته ابطال تلك الحروب وملاشاة شرورها . فقمن على رجالهن قومة واحدة حتى اضطررنهم الى عقد السلم وترك القتال

وكتب احد المشاهير عن سلطة ابنته على ولد وحيد له كان مجنوناً قال « لم يكن احد يستطيع اخماد ثورته سوى لويزه ابنتي » وبعد زواج هذه الابنة اشتد الجنون بالولد لان التي كانت تسكنه وتهديه قد فارقته . وقد قال هذا الكاتب ان ابنتي هذه هي التي جعلتني

اكتب في موضوع سلطة النساء . وعنه اخذت موضوع هذا الفصل الصغير

والسبب الذي جعلني اكتب هذا الموضوع رغبتي في امرين . الاول اظهار عدالة الخالق الذي لم يجعل المراة ضعيفة الا واعطاها تلك السلطة لموازنة ضعفها . فعلى النساء ان لا يحسدن الرجال على اشغالهم وسلطتهم وقوتهم لانهن اقوى منهم

والامر الثاني الاشارة الى هذا الكنز الثمين الموجود في ايدي النساء وهن لا يبالين به بل يفتشن عن كنز خيالي موهوم . وهذا الكنز الخيالي الموهوم هو الافراط في اللبس الفاخر والمناظرة في ذلك وفي المعيشة التي يسميها الكتاب دنيوية ولا اشير اليها هنا الا اشارة . واني لست من النواتي او بالحري من الذين يذمون (الموضة) لاني اعرف انه لا بد منها الا اذا اردنا تغيير اذواق النساء وهذا من شؤون الخالق عزَّ وجل . واذا اردت ان نطاع فسل ما يُستطاع . ولكني ارى وجوب الاعتدال في هذا الامر الذي اصبح ضربةً من الضربات لان المراة لم تُخلق له ولكن لتلك السلطة التي ذكرتها . نعم المراة لم تخلق لتكون صنماً يتفرج عليه الناس وهذا امر اقوله بلا خجل واحب ان ينتبه اليه السيدات فانهن كثيراً ما ينسينه . وبودي لو ان معلمات مدارس البنات تحذو حذو معلمة اميركية مشهورة تدعى ماري لويز جعلت كل عنايتها مصروفة في مدارسها الى تربية البنات باسلوب يعلم الابنة ان تكون ذا تاثير في الدنيا بواسطة اخلاقها وآدابها لا بواسطة جمالها وثيابها . وربما كانت هذه الكلمة « التاثير بواسطة الاداب لا بالثياب » مصدراً لاصلاح عظيم يغير وجه الشرق كما يريد الشرقيون وينشئ في كل امة الرجال الذين تطلبهم . فعسى ان يكون في قولي هذ فائدة للمعلمات والامهات .

﴿ نمو العظام في الجسم ﴾

قد تُعمل عملية جراحية في جسم الانسان ومتى شفي عاد اللحم فنبت ونما كما كان قبل العملية . وهذا امر معروف عند الجراحين . ولكن الامر الجديد هو نمو العظام كنمو اللحم . فانه من المعلوم ان النقرس والسل قد يحفران عظام الانسان في الجهات المصابة فراى الاستاذ فون موستيج موروف النمساوي وجوب سد هذا الحفر . فاخذ مادة ركبها من مسحوق عظام الحوت والزيت واليودوفورم واذابها ثم جعلها بحرارة الجسم وبسطها على العظم المحفور في بدن المريض وربطها . فلم تمض على ذلك مدة طويلة حتى التحمت هذه المادة بالعظام وصارت منها .

باب تدبير الصحة

العنب العنب العنب

اذا كنتَ ضعيف الجسم نحيلاً هزيلاً قليل الدم مستعداً لامراض الصدر والمعدة والفالج وغيرها فان الاطباء يصفون لك السفر الى حمامات فيشي لتغيير الهواء والاستحمام بمياهها المعدنية او الاقامة في جبال لبنان او جبال سويسرة . فاذا كنت قادراً على السفر والنفقات الطائلة سافرت غير آسف على شيء لان الصحة قبل كل شيء . ولكن اذا كنت غير قادر على السفر اما لانك لا تقدر على ترك اشغالك واما لان جيبك لا قبل له بنفقاته فلديك طريقة بسيطة يصفها الآن بعض الاطباء في اوروبا لتجديد الدم واعادة القوى وهو دواء يغنيك عن الاستحمام بمياه فيشي . ويسمونه « الاستحمام بعصير العنب »

ومعنى ذلك ان تاكل من العنب بقدر ما تستطيع في كل يوم على شرط ان لا يكون ماكولك منه اقل من كيلوغرام واحد في اليوم ولا اكثر من اربعة كيلوغرامات . ويجب ان تاكل هذه الكمية على اربع اوخمس مرات وان تتنزه في اثناء ذلك في الخلاء وتروض جسمك في مكان ذي هواء نقي . وان تبدأ بالاكل بالتدريج اي تأكل كيلوغراماً وكيلوغرامين في الايام الاول حتى تصل الى الاربعة

واذا رمت ان يكون العنب مسهلاً فكل من العنب الابيض قبل نضجه تماماً لان من خواص الحموضة التي فيه انها تُجري الباطن . واذا رمت زيادة دمك فكلْ من العنب الاسود الذي في اجزائه كثير من املاح الحديد والمواد التي تقوي الجسم وتبث فيه الحرارة

وهذا الدواء ليس جديداً فان سكان لبنان يعرفونه . وقد كان ابو قراط ابو الطب وغالبين يصفانه في الزمن القديم للمصابين بفقر الدم وعسر الهضم وامراض المعدة وقلة الشهوة للاكل .

وربما اصيب بعضهم بألم في معدته اعيى الاطباء دون ان يزول ثم اقتصر المريض على اكل العنب دون سواه اياماً كثيرة فشفي وعادت القوى الى معدته . وهذا امر اثبتته التجربة

وكما ان للاستحمام بالمياه المعدنية اماكن خصوصية في اوروبا يفد اليها الناس مستشفين كذلك انشأوا عندهم اماكن « لاكل العنب » . فان في مدينة مونترِه في سويسره وفي ميرانه في النمسا وفي سان كوار وكروتننش على شواطئ نهر الرين وفي دركهم في بافاريا وغيرها من المدن كثيرًا من الاماكن المخصوصة المنشأة لاكل العنب ولا تفتح الا حين نضج هذا الثمر المغروس في جوارها بكثرة غريبة . ويفد الى هذه الاماكن محبو العنب من كل اقطار العالم ليجددوا دماءهم من عصير بنت الكرمة . فما اخطأ اذًا من قال .

ولو وضعوا في فيءِ حائط كرمها عليلاً وقد اشفى لفارقه السقمُ

فحبذا لو انشأوا في لبنان اماكن كتلك الاماكن في الجهات التي تكثر زراعة العنب فيها . ويا ليت الفلاح المصري يهتم اهتمام رفيقه الفلاح اللبناني بزراعة هذه الشجرة اللذيذة المفيدة وبذلك يغني بلاده عن العنب الذي يردها من البلاد الغربية

﴿ اذا لم تستطع ترك التدخين ﴾

(فلا اقل من تخفيف مضاره)

من اسباب فشل الجمعيات التي قامت لمقاومة التدخين انها توجب على الناس ترك التدخين تركاً باتًا فقلما اثرت دعوتها هذه في احد الا قليلاً . ولذلك رات الاكاذمية الملكية في بلجيكا ان تعدل عن النداء بوجوب ترك التدخين الى نداء آخر بوجوب اجتناب مضار التدخين ما امكن اجتنابها . وقد نشرت لذلك عدة وصايا جاء فيها

« لا تدخن تبغًا رطبًا لان الرطوبة تحلّ النيكوتين الذي هو سم التبغ فينتشر مع دخانه ويدخل الى جوفك

« لا تدخن وانت صائم ولا قبل الطعام

« دخن التبغ دائمًا في ماسورة طويلة لا بفمك فتلتقط الماسورة قذر التبغ وسمه

« ان النيكوتين الذي هو سم التبغ لا يتبخر الا اذا بلغت الحرارة ٢٥٠ درجة وبناء عليه فان هذا السم يجتمع في عقب السيغاره فيجب عليك ان لا تدخن من السيغاره الا ثلاثة ارباعها وترمي الربع الباقي الذي اجتمعت فيه المادة السمية

« ان السيغارة الاعتيادية اخف ضررًا من السيغار ومن سائر اصناف التدخين فلا تدخن غيرها »

﴿ ازالة السكر من راس السكران ﴾

(طرق بسيطة)

لذلك طريقتان . الاولى ان تصبّ اذا كان السكر خفيفاً ١٢ نقطة من الامونياك (روح النشادر) في كاس ماء مسكر وتسقيه اياها . واذا كان السكر شديداً الى درجة العربدة فاسقِ السكران الكاس التي تقدمت وكاساً اخرى مثلها ولكن لا تزد على ذلك

والطريقة الثانية ان تكتفي بتنشيقه بضع دقائق روح النشادر في زجاجة . وقد جرب ذلك الاستاذ بوشاردات في السكيرين الذين تجدهم شرطة باريز في الشوارع وتاتي بهم الى مستشفياتها فنجحت التجربة

﴿ السلّ الكاذب ﴾

كتب المسيو مارتين ماني من بوردو الى اكاذمية العلوم في باريز يقول انه ثبت له ان في انواع السل سلاً كاذباً فان الانسان يظهر له انه مصاب بالسل ولا يكون داؤه غير اعتلال في الشعب التنفسية العليا وهو داء بسيط فيجب التمييز بين السل الصحيح والسل الكاذب .

نشر صفحات مطويه

ننشر في هذا الباب ما يفيد نشره من الفصول والمقالات التى كتبها اكابر كتاب العرب مما ولا توجد الا في الكتب الكبيرة والمكاتب الشهيرة

جواهر عربية ادبية

منتخبة من مروج الذهب للامام المسعودي

كلما رأينا الجرائد والمجلات طافحة باخبار نوادر ملوك هذا الزمان وامرائه وحكامه وتفاصيل مدنيته عجبنا من هذا الاقبال على شؤون الحاضر مع ان في شؤون الماضي ما يغني عن ذلك كل الغنى اولاً لانها مكتوبة بلغة عربية مبينة يستفيد منها القارىء والكاتب وثانياً لانها اخبار مدنية شرقية عظيمة قامت في بلادنا فيجب على كل الشرقيين الاطلاع على اخبارها والوقوف على آثارها فضلاً عما فيها من الفكاهة حيناً والعظة احياناً .

و بناء على ذلك ننشر منذ الآن فصاعدًا في كل جزء من الجامعة شيئًا من تلك الاخبار الجامعة بين الفكاهة والفائدة تحت عنوان « جواهر عربية » وفي الحقيقة انها جواهر كما ترى في الشذرات التالية ·

***

﴿ وعظ غلام عربي ﴾ لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وهو افضل خلفاء بني امية وفد عليه وفود العرب و وفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلامًا منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سنًا قال عمر مهلاً ياغلام ليتكلم من هو اسن منك · فقال مهلاً يا امير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانًا لافظًا وقلبًا حافظًا فقد استجاد له الحلية يا امير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو اسن منك · قال تكلم ياغلام · قال نعم يا امير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي منَّ بك علينا لم يخرجنا اليك رغبة ولا رهبة · اما الرغبة فقد اتانا منك الى بلدنا واما الرهبة فقد امننا الله بعدلك من جورك · فقال عمر عظنا ياغلام واوجز · قال نعم يا امير المؤمنين ان اناسًا من الناس غرّهم حلم الله عنهم وطول املهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك · فنظر عمر في سن الغلام فاذا هو قد انت عليه بضع عشرة سنة فانشأ عمر رحمه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالمًا ... وليس اخو علم كمن هو جاهلُ
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافلُ

***

﴿ تاثير الموسيقي عند العرب ﴾ كان رجل من اهل العراق اتى المدينة في طلب جارية وُصفت له قارئة قوالة فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة فاتاه وساله ان يعرضها عليه فقال ياعبد الله لقد ابعدتَ الشقة في طلب هذه الجارية فما رغبتك فيها · قال انها تغني فتجيد · فقال القاضي ما علمت بهذا فالح عليه في عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضي · فقال لها الفتى هات · فغنت

الى خالد حتى انخن بخالدٍ ... فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

فرح القاضي بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب امر عظيم وقال هات شيئًا بابي انت فغنت

اروح الى القصاص كل عشية ارجي ثواب الله في عداد الخطا

فزاد الطرب على القاضي ولم يدر ما يصنع فاخذ نعله فعلقها في اذنه والنعل معلقة فيها ويقول اهدوني الى البيت الحرام فاني بدنة حتى ادمي اذنه . فلما امسكت اقبل على الفتى فقال ياحبيبي انصرف قد كنا فيها راغبين قبل ان نعلم انها تغني فنحن الآن فيها ارغب . فانصرف الفتى . وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله فقد استرقه الطرب وامر بصرفه عن عمله . فلما صُرف القاضي قال: نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية . فبلغ ذلك عمر فاستدعاه واستدعى الجارية . فلما دخلا على عمر قال له اعد ما قلت قال القاضي نعم واعاد ما قال . فقال عمر للجارية قولي فغنت

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروفُ الليالي والجدود العواثر

فلما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طرباً بيناً واقبل يستعيدها ثلاثاً وقد بلت دموعه لحيته ثم اقبل على القاضي فقال له قد قاربت في يمينك ارجع الى عملك راشداً

ومع ذلك فقد كان عمر من ازهد الامراء واعقلهم

***

﴿ اصنعوا بالناس ما تريدون ان يُصنع بكم ﴾ ذكر بعض الاخبار بين ان عمر بن عبد العزيز في عنفوان حداثته جنى عليه عبد له اسود جناية فبطحه وهمّ ليضربه فقال له العبد يامولاي لمْ تضربني قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت انت جناية قط غضب بها عليك مولاك . قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل عليّ ولم يعجل عليك فقال له عمر قم فانت حرٌ لوجه الله وكان ذلك سبب توبته . وكان عمر يُكثر هذا الكلام في دعائه فيقول ياحليماً لا يعجل على من عصاه

***

﴿ بناء قصر وبناء كلام ﴾ لما بنى محمد بن سليمان قصره بالبصرة على بعض الانهار دخل اليه عبد الصميد شبيب بن شبة فقال له محمد كيف ترى بنائي قال بنيت اجمل بناء باطيب فناء واوسع فضاء وارق هواء على احسن ماء بين صراري وحسان وظباء . فقال محمد بناء كلامك احسن من بنائنا . وقيل ان صاحب الكلام والباني للقصر هو عيسى بن جعفر على ما حدث به محمد بن زكريا الغلابي عن الفضل بن عبد الرحمن بن شبيب بن شبة . وفي هذا القصر يقول ابن ابي عتبه

زر واديَ القصر نعم القصر والوادي لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه من منزل حاضر ان شئت او باد
تلقى قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي

***

﴿ ما ترك لربه شيئاً ﴾ دخل معن بن زائدة على الرشيد وقد كان وجد عليه فمشى فقارب الخطو فقال له هرون كبرت والله يامعن قال في طاعتك يا امير المؤمنين قال وان فيك على ذلك لبقية قال هي لك يا امير المؤمنين قال وانك لجلد قال على اعدائك يا امير المؤمنين فرضي عنه وولاه . قال وعُرض كلامه هذا على عبد الرحمن بن زيد زاهد اهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئاً

باب التقريظ والانتقاد

﴿ رسالة في السياسة ﴾

(لابي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي)

اهدتنا ادارة مجلة المشرق الغراء نسخة من رسالة للفارابي في السياسة عني بطبعها وضبطها جناب الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعي صاحب امتياز مجلة المشرق ومديرها . وهي منقولة عن نسختين قديمتين محفوظتين في مكتبة الفاتيكان ومكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت . ولا بدع ان ينشر الآباء اليسوعيون الكتب المفيدة في الشرق فقد عودونا ذلك منذ زمن بعيد .

﴿ خلاصة الجمعية الارثوذكسية السورية ﴾

اصدرت الجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية في الاسكندرية خلاصة اعمالها في سنة ١٩٠٠ ناطقة بفضل رئيسها جناب السري المفضال الخواجا وهبة الله كرم وباجتهاد وسعي اعضائها الافاضل . ويؤخذ من هذه الخلاصة ان ايراد الجمعية في هذا العام قد بلغ نحو خمسين الف غرش ونفقاتها نحو ٣٧ الفاً . جزى الله حضرة رئيسها واعضائها خير جزاء

﴿ جريدة النصير ﴾

لصاحبها جناب عبود افندي ابي راشد

فاتنا ان نذكر في الجزء الماضي صدور جريدة اسبوعية اخبارية ادبية في الحدث من اعمال لبنان لصاحب امتيازها جناب الفاضل عبود افندي ابي راشد . فنحن نرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها النجاح الذي تستحقه

﴿ الحب والزواج ﴾

تاليف جناب نقولا افندي حداد

وضع حضرة الكاتب المجيد نقولا افندي حداد كتاباً عنوانه « الحب والزواج » واودعه ابحاثاً مختلفة في شرائع الحب والزواج ومبادئهما الطبيعية والادبية . وقد صدره بهذه العبارة « يبسط النفس و يدمث الخلق » وهو قول ينطبق على الكتاب لانه حاو لكثير من الفوائد بعبارة سهلة طلية تدلّ على ان الكاتب يكتب في موضوع يحب الكتابة فيه . وكل ما في هذا الكتاب الطلي حسن لطيف ولا عيب فيه سوى ذكر المؤلف بعض امور بعض عبارات كان الاجدر به ان يشير اليها اشارة خفيفة بعبارات غير صريحة لان كتابه لا بد ان يقع بين ايدي الجنسين . والذي يقرأ مثلاً الصفحة ١٠٧ من هذا الكتاب وغيرها ايضاً يحسب ان المؤلف قد تعمد التصريح الذي اشرنا اليه لجعل كتابه ادعى « لانبساط النفس » كما قال في صدره . وما عدا هذا فاننا نثني على براعته في تصرفه بهذا الموضوع تصرفاً دلّ على سلامة ذوقه وطول باعه

﴿ رواية عذراء العرب ﴾

معربة بقلم جناب ايليا افندي الحاج

هي رواية فكاهية ادبية حدثت حوادثها في دار السلام في ايام الخليفة هارون الرشيد وقد طبعها جناب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في العاصمة على نفقته وهي تطلب من جنابه وثمنها خمسة غروش صاغ . وهذه المكتبة مستعدة لارسال كل ما يطلب منها من الروايات وغيرها باثمان قليلة

﴿ الكنيسة الارثوذكسية ﴾

هي مجلة شهرية دينية ادبية اصلاحية تصدر في العاصمة وتديرها ادارة جريدة الشهباء فيها . فنرجو لها الثبات والاعتدال

﴿ اخوية العائلات الدمشقية في بيروت ﴾

في بيروت اخوية خيرية للعائلات الدمشقية الارثوذكسية الكريمة فيها نشأت في ٢ ابريل من عام ١٩٠٠ وقد اصدرت الان خلاصة اعمالها في السنة الماضية . ويؤخذ منها ان ايراد هذه الاخوية قد بلغ اكثر من ١٦ الف غرش ونفقاتها على تسفير غربائها ومعالجة مرضاها اكثر من ٥ الاف غرش . وهي همة تذكر بالثناء واذا لم يكن فيها غير ابتكار هذه الطريقة التي تزيد الجمعيات الخيرية المفيدة جمعية عاملة فكفى ذلك

﴿ الفكاهة ﴾

هي مجلة شهرية فكاهية تُصدرها رصيفتنا جريدة كوكب اميركا الغراء وتهديها الى قرائها في كل شهر . وهي تشتمل على كثير من الملح والنوادر

شؤون نسائية

البطاطس وغذاؤها

اذا قشرت البطاطس لطبخها فقدت بهذا التقشير ١٤ في المائة من غذائها واذا سلقتها من غير تقشيرها لم تخسر سوى ٣ في المائة من مادتها . ولا تبقى لها كل مادتها الا اذا شويتها بالفرن او بالرماد . وبناء عليه تكون البطاطس المشوية اكثر غذاء من سائر انواعها

دخول الملابس

يعلم السيدات ان الملابس الصوفية ولا سيما الفلانلا « تدخل» بعد الغسل اي تتقلص اليافها وتصغر وقد ذكرت احدى السيدات الاوروبيات طريقة لمنع هذا الدخول وهي انها لا تعصر الملابس الصوفية ابداً بل تنزعها من الماء البارد وتبسطها على الارض فيحول ثقل الماء الذي فيها دون تقلصها ومتى جفت عادت كما كانت بلا زيادة ولا نقصان

شراب الاجاص والتفاح

تصنع السيدات في بلجيكا شراباً خصوصياً من الاجاص والتفاح وذلك بان يقطعن كثيراً من التفاح وشيئاً من الاجاص الناضج قطعاً صغيرة و يضعونها في ماء على النار حتى اذا حميت ولانت كثيراً يعصرونها بآلة او بنسيج ثم يضعون الشراب المأخوذ منها في وعاء على

النار لنزع الرغاء منه و يضيفون اليه قليلاً من السكر لاصلاح طعمه على نسبة ٢٥ غراماً لكل كيلوغرام من الثمر . ثم انهم يصبون هذا الشراب اللذيذ في وعاء و يحفظونه فيه فيبقى وقتاً طويلاً .

سهولة هضم اللبن

من غريب ما يجهله الناس ان اللبن اذا حركته بملعقة حركة شديدة تمزج اجزاءه بعضها ببعض اصبح اخفّ على المعدة مما اذا لم تحركه .

فائدة لعصير الطماطم

جرب بعضهم عصير الطماطم لازالة بقع الحبر والخمر والاثمار فافادت التجربة

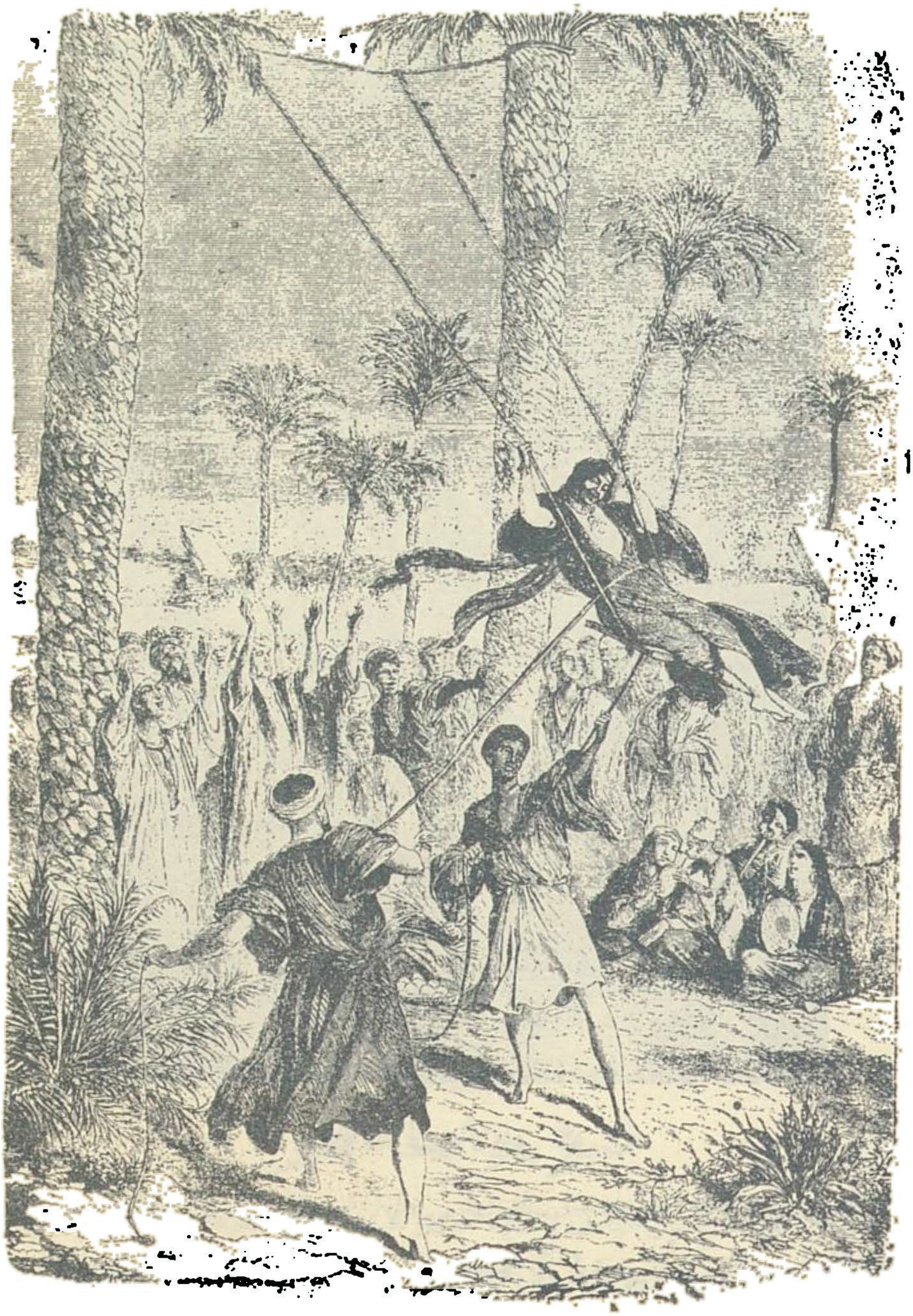
عادات واخلاق

﴿ بعض عادات وآثار مصرية ﴾

اخذنا منذ ابتداء السنة الثالثة للجامعة في نشر ما يهم الاطلاع عليه من الآثار الشرقية وخصوصاً الاثار المصرية التي لها في التاريخ شان عظيم . ورغبة في اتمام الفائدة راينا ان لا نقصر الكلام في الجامعة على اثار مصر القديمة ولذلك ننشر هنا وفي ما يلي من الاجزاء شيئاً عن آثار وعادات مصر الحديثة مقرونة برسوم تشرح حالها باوضح مما يشرحه الكلام

غير ان الذي يروم وصف اثار مصر الحديثة وعاداتها يجب عليه ان يبدأ بالآثار العظيمة التي تدل على مبلغ ارتقاء هذه البلاد . كالكلام على قفار مريوط التي جعلها الجناب الخديوي المعظم عظيم زراع هذه البلاد بلاداً عامرة و رياضاً غناء . و وصف خزاني اسيوط واصوان اللذين سيكون لها التاثير الاكبر على زراعة هذا القطر وعلى ثروته . وغير ذلك من الاثار الزراعية والفنية الكبرى كمناظر الاسكندرية والعاصمة وسواها . ولكن المجال قد ضاق بنا في هذا الجزء لكثرة المواد فنكتفي برسم ثلاث عادات على سبيل الفكاهة

اما العادة الاولى فهي عادة (الارجوحة) ويسميها العامة في بر الشام (مرجوحة) وهم يستعملونها في يوم العنصرة فقط . اما في مصر فان العامة تستعملها في كل الحفلات الكبرى تقريباً وذلك على وجه اتم واقوى واجمل كما ترى في الرسم الاول . وهذه العادة قديمة جداً



﴿ الارجوحة في مصر ﴾

وربما لم يُعرف لها اصل حقيقي من قدمينها.

والرسم الثاني رسم ملاعب الافاعي وهي ملتفة على عنقه وراس احداها بيده كاترى.

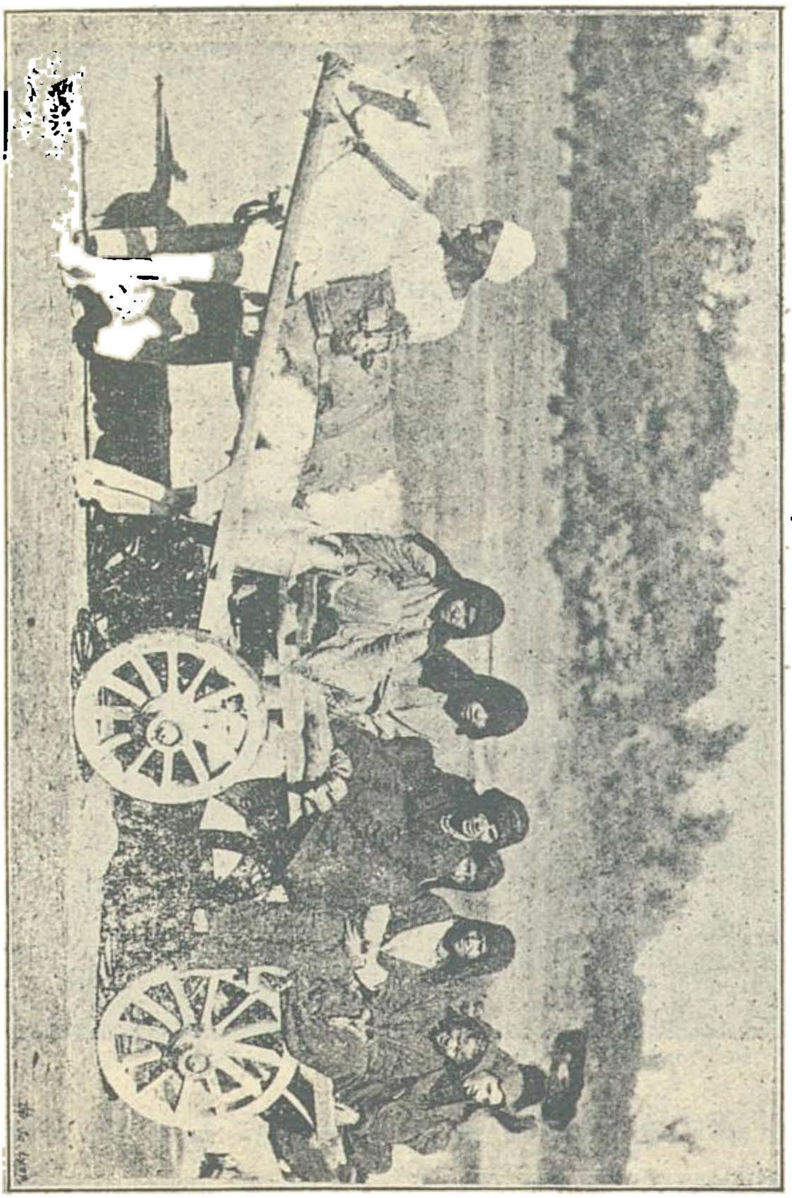
واذا مررت بمجالس السياح الاجانب امام الفنادق في العاصمة وغيرها من مدن القطر



﴿ ملاعب الافاعي ﴾

وجدت بعض اولئك الرجال يلاعبون افاعيهم امام السياح وهؤلاء لدهشتهم من هذا اللعب يلقون اليهم قطع النقود . غير ان رجال الشرطة لا يتركونهم يهنأون باللعب فيطاردونهم . فيأخذ ملاعبو الافاعي بالسخط والدعاء على البوليس لانه يقطع رزقهم ... والسر في سكون الافاعي هذا السكون انهم يسقونها مخدرات تفني قوتها وتزيل حدتها ويقلعون انيابها كلها .

والرسم الثالث رسم مركبة تحمل نسوة من جانب في المدينة الى جانب آخر كمركبات الترامواي والاومنيبوس (انظر الصفحة التالية)



﴿ الترمواي القلعة ﴾

اشهر حوادث الشهر

نعت اخبار افغانستان المأسوف عليه الامير عبد الرحمن اميرها . وقد نشرنا في الجزء الثاني من السنة الماضية رسمه وترجمته وكلاماً عن تاريخ افغانستان وسكانها ولغتها وهوائها وحاصلاتها ومعادنها وحيواناتها وهيئة حكومتها واثارها فليراجع هناك . انما ننقل هنا شهادة السيد جمال الدين الافغاني بالمرحوم عبد الرحمن وهي « ان الامير عبد الرحمن اذا لم يُعدّ عالماً فهو على الاقل واسع الاطلاع متضلع من تاريخ المشرق اصيل الراي في حكومة بلاده وهو يكره الاستبداد في الراي والقسوة خلافاً لحكام الشرق وقد ضُرب المثل ببساطته وبشاشته كما ضرب بصلابة عزمه وبسالته » وكانت وفاته في ٣ اكتوبر الماضي ولا يعد



﴿ المرحوم المستر ما كنلي ﴾

ان تنشأ عن وفاته فلاقل كثيرة لان جده خلف اكثر من ثلاثين ولداً ينزعون الى الامارة وام الامير حبيب الله الذي خلف اباه لم تكن من اشراف الامة كما قيل

وقد نشرنا في هذا الباب رسم المأسوف عليه المستر ماكنلي رئيس الولايات المتحدة الذي قتله الفوضوي كزولكوز في معرض بوفالو فكان لمقتله دوي عظيم في الشرق والغرب· وقد توالت على ارملته الحزينة رسائل الملوك والعظماء وابلغها كلها رسالة من الملكة مرغريته زوجة همبرت الاول ملك ايطاليا الذي قتله الفوضويون ايضاً وهذا نصها « نحن اختان في الحزن» وقد ارسل السوريون في اميركا الى حفلة الجنازة علماً جميلاً رُسم فيه هلال ونجمة وقد جمعوا من بعض افاضلهم نفقته التي بلغت ١٦٠ ريالاً كما روى الكوكب الاغر

اما عرابي باشا فقد عاد الى وطنه بعد طول غيابه عنه ولم تبق جريدة حتى حادثته ونقلت احاديثه· وغني عن البيان انه يتنصل من كل الحوادث الماضية· وهذا امر منتظر منه